

الفصل الرابع عشر

الموقف المصري تجاه العدوان الصهيوني علي غزة

٢٠٠٨-٢٠٠٩

أولاً: التغطية الإخبارية للعدوان:

لقد وقعت حرب الإبادة الإسرائيلية ضد الأهالي في غزة ، وتباينت مواقف الحكم المصري بل تعارضت مع الشارع، ومع غالبية الصحف، الخاصة والحزبية علي حد سواء، فضلاً عن أن مواقف الحكم اختلفت من وقت لآخر ما تطلب رصد هذا الموقف من خلال التغطية الإخبارية للعدوان ثم تناول الاتجاهات التي عبرت عن مواقف الصحف ازاء العدوان.

ما أن فشلت حكومة مصر في صياغة اتفاق تهدئة بين فصائل المقاومة الفلسطينية، واسرائيل، في ١٦/١٢/٢٠٠٨، حتي أخذ النظام المصري، ودبلوماسيته في التصعيد ضد تلك الفصائل، وإلقاء اللوم عليهم، وبدلاً من القيام بأي تحرك، تكون نتيجته تخفيف الحصار عن قطاع غزة، راحت الأصوات تتصاعد، مدافعة عن الموقف الرسمي المصري، القاضي باستمرار إغلاق معبر رفح، وبدلاً من شرح أسباب ذلك الإغلاق، راحت الأبواق تتصاعد بالشتائم، في مواجهة المتظاهرين في كل مكان من أرجاء المعمورة، والذين كانوا يطالبون بفتح المعبر. وراح النظام المصري يؤكد بأن^(١):

مصر ترفض ممارسة العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين، ومبارك يدعو اسرائيل لضبط النفس، وتسهيل الوضع الإنساني بغزة، وراح وزير الخارجية المصري، احمد أبو الغيط يؤكد أن هدفه التهدئة والمصالحة الوطنية، وإقامة الدولة الفلسطينية.... ثم أضاف أبو الغيط: أن مبارك أكد ضرورة الابتعاد عن العقاب الجماعي للفلسطينيين وعدم التصعيد العسكري.^(٢)

عشية الحرب، خرجت علينا "الأهرام" لتؤكد إرسال مساعدات من "الهلال الأحمر المصري" بـ ٦ ملايين جنيه إلى أهالي غزة.. وفي ذات الوقت، عززت السلطات المصرية إجراءاتها الأمنية في رفح، على طول الحدود مع قطاع غزة، وكثفت وجودها، بمناسبة العام الجديد!

المرحلة الأولى: التصعيد ضد المقاومة وإفتيال معارك جانبية:

في المرحلة الأولى من حرب الإبادة التي شنتها إسرائيل على غزة في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، وحتى يوم العاشر من يناير/ كانون الثاني، ٢٠٠٩، أختلق النظام المصري وإعلامه الحكومي معارك جانبية، في محاولة لشغل الرأي العام، الداخلي، والعالمي "الذي يتهمة بالتواطؤ مع إسرائيل"، وبدلاً من الرد على تصريحات، أيهود أولمرت، رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزيرة خارجيته تسيبي ليفني الذين أكدا بأنهما أبلغا دولاً عربية بنية قصف غزة^(٣)، راح يرد هذا النظام على ردود الأفعال، وليس على الفعل نفسه.

الحكم:

وقد دان مجلس الشعب العدوان. وفي الوقت نفسه، كشف الدكتور/ مفيد شهاب، وزير الشؤون القانونية، والمجالس النيابية، أمام مجلس الشعب، أسباب زيادة تسيبي ليفني وزير الخارجية الإسرائيلية لمصر. وقال شهاب أن الموقف المصري لا يمكن أن يزايد عليه أحد، وعندما أشتتت مصر أن إسرائيل تدبر عمليات عسكرية مدمرة ضد قطاع غزة، وأن الخطر قادم، قامت مصر باستدعاء ليفني، للضغط على إسرائيل، ولكن للأسف الشديد قامت إسرائيل بالعمليات العسكرية في ٢٧/١٢/٢٠٠٨^(٤)

التغطية الإخبارية للعدوان

وفي ضوء استحالة فصل موقف الحكم المصري عن الصحف الحكومية، نلاحظ أن جريدة الأهرام خرجت علينا في اليوم الثاني للقصف بمانشيت: "مصر تطالب بوقف آلة القتل الإسرائيلية"، "مبارك وعباس يبحثان الأزمة الدامية و ١٧ شاحنة

مساعداً مصرية دخلت غزة"، بها نحو ٣٠ طن مساعدات علماً بأنه حسب تقارير الأونروا، فإن المساعدات اللازمة للقطاع، لمدة يوم فقط، في الظروف العادية ٨٠٠ طن مساعدات. وفي العدد نفسه، وللمرة الثانية بعد الحرب، أكد أبو الغيط أن الأولوية هي وقف العدوان، والعودة إلى التهدئة، وفتح المعابر، كما تشير الأهرام إلى استشهاد ضابط مصري برصاص حماس! حيث صرح مصدر أمني بأن أجهزة الأمن المصرية نجحت في رد محاولات بعض الفلسطينيين لاقتحام الحدود المصرية، شمال رفح، بمنطقة صلاح الدين، إلا أنه وعقب إطلاق الجانب المصري طلقات تحذيرية لتفريق الفلسطينيين، بادرت عناصر من حركة "حماس" بإطلاق نيرانها مما أسفر عنه استشهاد الضابط المصري (رائد) ياسر فريج العيسوي^(٥)

في الوقت الذي ظلت إسرائيل تحشد قواتها البرية، وتعلن غزة منطقة عسكرية مغلقة، وفي الوقت ذاته أستمريت اتصالات مبارك من أجل وقف إطلاق النار، فوراً، وعودة التهدئة.

وأستمر وزير الخارجية المصري يهاجم من أسماهم "دعاة الفوضى": نصر الله لا يعي من أمره شيئاً.. ومصر تتعرض لحرب من بعض الدول، ثم تشير الأهرام إلى وصول أول دفعات المصابين الفلسطينيين إلى المستشفيات المصرية، حيث نقل ١٧٠ مصاباً، عبر معبر رفح. وتشدّد الأهرام على أن مسلحين من حركة "حماس" قتلوا الضابط المصري (بدم بارد)! وتحذر مصر الفضائل الفلسطينية من أي مساس بأمن الحدود!^(٦) ويظهر واضحاً مدي تحامل الحكم المصري على الفضائل الفلسطينية، وخاصة "حماس" وإن الأجهزة تحاول الهروب من المواجهة مع إسرائيل، إلى الحدود المصرية، دون الإشارة إلى سبب اتهام الحكومة المصرية لهذا الهروب "الحمساوي"!!

في الوقت نفسه كشفت المصادر الرسمية للأهرام بأن لديها تفاصيل كاملة حول المخطط المشبوه، الذي يستهدف مصر، في هذه المرحلة، سياسياً، وإعلامياً، تشارك فيه عدة دول عربية، وإقليمية، وجماعات محظورة، تشمل إيران، وسوريا، وحزب الله، وحماس، وقنوات فضائية مشبوهة، بالإضافة إلى تجنيد بعض الصحف الخاصة

في مصر، مقابل تمويلها! ويظهر جلياً هدف النظام المصري من خلق معارك وهمية، ولعل هدفه من ذكر "حماس" ضمن الجهات التي تحاربها، هو خلق رأي عام شعبي ضد "حماس". وبدلاً من أن يقوم الرئيس المصري بتوجيه رسالة إلى إسرائيل، إذ به يرسل وزير خارجيته إلى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، برسالة يؤكد فيها مطالبه مصر لإسرائيل بوقف فوري لإطلاق النار، واستعادة التهدئة، وفتح المعابر، وتكتفي الأهرام بالحديث عن المظاهرة التي نظمت أمام نقابة الصحفيين، ونقابة المحامين في خبر صغير حوالي ٨×٥ سم فقط في صفحتها الثانية^(٧).

وقد أكد الرئيس المصري حسني مبارك في كلمة متلفزة حول الأوضاع في غزة الثلاثاء ٢٠٠٨/١٢/٣٠ أن مصر لن تفتح المعابر أمام الفلسطينيين إلا أمام الحالات الإنسانية فقط، ودان الهجمات الإسرائيلية على غزة، وناشد الفصائل الفلسطينية بتوحيد صفوفها.^(٨)

ودان الرئيس المصري الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة، وطالب قادة إسرائيل باحترام الشعب الفلسطيني ووقف العدوان.

وأضاف أن مصر تسعى لوقف "العدوان" الإسرائيلي المستمر على قطاع غزة وإعادة التهدئة بين الفصائل الفلسطينية في القطاع وإسرائيل. وأضاف مبارك، "سوف تطرح مصر هذه الرؤية خلال الاجتماع المقبل للمجلس الوزاري للجامعة العربية"^(٩).

وقد شدد مبارك على أن مصر ترفض الانسحاق وراء المخطط الإسرائيلي الرامي لفصل قطاع غزة عن الضفة الغربية، وتابع: "تقول لم نسعي للمكاسب السياسية إن الدم الفلسطيني أغلى"^(١٠).

وبدلاً من توجيه الأنظار إلى المحرقة في غزة، قامت الصحف الحكومية المصرية بإدارة معركة على صفحاتها وخرجت علينا بعناوين (مصر لا تقبل المتاجرة!)^(١١).

مجلس الشعب والأحزاب يرفضون المزايدات على الدور المصري الداعم للحق العربي^(١٢).

ودبلوماسيون: "تصر الله لم يقدم القضية الفلسطينية سوى الكلام"^(١٣).

وفي اجتماع وزاري، برئاسة رئيس الوزراء المصري صرح الدكتور أحمد نظيف: "مصر تجدد إدانتها للعمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة وتطالب بوقفها، فوراً" وتشدد مصر علي فتح معبر رفح، لاستقبال الجرحى الفلسطينيين، وإدخال المعونات الغذائية، والدوائية للقطاع^(١٤).

ثم خرج علينا الرئيس مبارك ليقول في خطاب له: "أوقفوا العدوان فالاحتلال إلي زوال" ويقول لقادة إسرائيل: "أيديكم الملوخة بالدماء توجب مشاعر الغضب وتبدد الأمل في السلام"، ويؤكد: نرفض تكريس الانقسام بفتح معبر رفح، بالرغم من تأكيد وزير خارجيته بأن المعبر مفتوح من اليوم الأول!

ويقول مبارك في حديثه: "مصر تترفع عن الصغائر، لكنها لن تسمح لأحد بتحقيق مكاسب سياسية، علي حساب الدم الفلسطيني"^(١٥).

وتواصل جريدة الأهرام التأكيد علي استمرار فتح معبر رفح، وإدخال المساعدات، وأخبار عن سعي حماس لاقتحام الحدود المصرية، وفتاوي من مساجد غزة لاستباحة دماء جنودنا.. والشهيد ياسر ضحيتها^(١٦).

ونشرت الأهرام خبر يشير إلي تكريس قنوات "الجزيرة"، و"المنار"، و"الأقصى"، و"العالم"، و"الدنيا"، مع بدء الهجوم البربري، لتوجيه الاتهامات إلي مصر^(١٧).

ولوحظ أن الدكتور هاني مورو، مستشار الصحة للطوارئ والأزمات صرح أن مصر استقبلت خلال الأسبوع الأول للحرب، ١١٥ جريحاً فلسطينياً، مما يتناقض مع جريدة الأهرام التي أكدت استقبال مصر ١٧٠ حالة في ثاني يوم للقصف الإسرائيلي^(١٨).

واستمرت الحكومة المصرية، طوال تلك المرحلة، في إطلاق نداءات تدعو خلالها لوقف إطلاق النار، وعقب فشل مجلس الأمن الدولي في إصدار قراراً يلزم إسرائيل بوقف إطلاق النار، إذ بوزير الخارجية المصري، أحمد أبو الغيط، ينتقد ببطء

مجلس الأمن، في حين تؤكد بلاده بأنها تواصل اتصالاتها للسيطرة علي الموقف في غزة^(١٩).

وسرعان ما تلاقي الجهد المصري بالجهد الفرنسي، لعقد قمة مصرية- فرنسية في شرم الشيخ، لبحث وقف إطلاق النار، في غزة. وانتهزت الحكومة المصرية تلك المناسبة لتطالب إسرائيل بوقف عدوانها فوراً، دون قيد أو شرط!

ولعل السبب الحقيقي لتلك القمة، هو حفظ ماء الوجه أمام الرأي العام، العالمي والعربي، لما اعتري المجتمع الدولي من صمت حيال معركة غزة. وإذا بصفوت الشريف يخرج علينا، في اليوم نفسه ليؤكد: إن من رفضوا التهذئة.. جعلوا الدم الفلسطيني قرباناً لمعركة ظالمة. في إشارة للفصائل الفلسطينية، التي رفضت عقد اتفاق تهدئة، لا يلتزم به سواها، مثل ما سبقه من اتفاقات. وذلك بالطبع إرضاء للنظام المصري، الذي يريد من الجميع الرضوخ له، وبشرطه التابعة للاحتلال الإسرائيلي، والولايات المتحدة، ليضم إليه أقطاب جديدة، من الدول التي أضفت عليها الولايات المتحدة صفة "المعتدلة"^(٢٠)!!

وقد تبنت حكومة مصر المبادرة المصرية- الفرنسية، بعد أن ازلت عنها فرنسيتها، وأخذت الصبغة المصرية، وتتكون المبادرة المصرية من ٦ عناصر، وهي: وقف إطلاق نار فوري لفترة محدودة، إنشاء ممرات آمنة للمساعدات، فتح المعابر، ورفع الحصار، التحرك لوقف نهائي لإطلاق النار، إيجاد ضمانات لعدم تكرار التصعيد، ثم تحقيق الوفاق الوطني الفلسطيني. وبالرغم من رفض طرفي الصراع (حماس وإسرائيل) تلك المبادرة، فإن القيادة المصرية أصرت عليها^(٢١).

ثم خرجت علينا وسائل الإعلام الرسمية المصرية لتخبرنا بزيارة وفد من مجلسي الشعب والشوري المصريين للجرحي الفلسطينيين، كما أكد وزير الصحة المصري، حاتم الجبلي، أن "مصر مستعدة لإرسال ٥٠٠ طبيب متطوع لغزة"! علماً بأن الوزارة رفضت إشراك عشرات الأطباء، الذين ذهبوا، منذ اليوم الأول للقصف إلي رفح المصرية في عملية إسعاف الجرحي الفلسطينيين، وفي الوقت ذاته أعطت

تكاليفات للأطباء، بالتواجد في رفح المصرية، للمشاركة في إغاثة الجرحي! وليس عن طريق التطوع؟! وقد لوحظ بأن وزير الصحة، منذ اليوم الأول، ترك القاهرة، وذهب إلى العريش، ليكون في صورة المهتم الأول بالجرحي، مع أن وجوده لم يتعد كونه دعاية له ليس أكثر، فمنذ يوم ٢٠٠٩/١/٤، سافر الجبلي حوالي ٥ مرات إلى رفح المصرية^(٢٢).

وعندما تبنت القيادة المصرية المبادرة وإضفت عليها الطابع المصري، نلاحظ أن وسائل الإعلام الرسمية المصرية، أفردت صفحاتها وبرامجها للترحيب بالمبادرة، فخرجت علينا يوم ١/٨ بعنوان رئيسي: "ترحيب عالمي واسع بالمبادرة المصرية لوقف العدوان الاسرائيلي علي غزة"^(٢٣).

ولم يكن تسمية هذه المبادرة بالمصرية مجرد محض صدفة، بل لأن وجود اسم فرنسا عليها يبرز تخوفا ما، وذلك لإصرار فرنسا علي تأييد الحرب الإسرائيلية علي القطاع من ناحية، وتأكيد الإتحاد الأوروبي في تقرير له أن فرنسا من أكثر دول الإتحاد التي أمدت إسرائيل بالسلاح! وبذلك يكون وجود اسمها مثيرا للريبة.

ولوحظ أنه في الوقت الذي تبنت الصحف الحكومية، والمحسوبة علي الحكومة، موقف القيادة المصرية، لم تسلط الضوء بالقدر الكافي علي الشوارع التي اشتعلت بالمظاهرات، وذلك في محاولة لتشيت الرأي العام، ومحاولة خلق رأي عام ضد الاتهامات الموجهة إلي مصر لصرف الأنظار عما يحدث في قطاع غزة.. ولكن صحف المعارضة، أفردت صفحاتها لتلك المظاهرات والمواقف الشعبية التي تتعارض مع الإدارة المصرية.

وقد أكد مراسلو إخوان أون لاين في المحافظات المختلفة أن عددا قليلا من أئمة مساجد الأوقاف التزموا بتعليمات وزارة الأوقاف، ولم تشر من قريب أو بعيد لما يحدث للمسلمين في فلسطين، في حين اضطر البعض منهم محرجا بالاكتماء بالتلميحات البعيدة لأحداث غزة^(٢٤).

وكانت وزارة الأوقاف قد أصدرت يوم ٢٠٠٩/١/١ تعليمات مشددة لجميع خطباء المساجد أمس بحظر الحديث عن أحداث غزة خلال خطب الجمعة، وشددت علي عدم إقامة صلاة الغائب علي أرواح شهداء غزة بالمساجد التابعة لإشراف الوزارة.

وقد اعتقلت قوات الأمن منذ صباح الجمعة، يوم ٢٠٠٩/١/٢ المئات من المواطنين من منطقة وسط البلد وميدان رمسيس، حيث شددت قوات الأمن من حصارها للمنطقة في صورة مستفزة، طوقت خلاله أكثر من ٢٠٠ من سيارات أمن مركزي المصفحة المنطقة علي إمتداد شارع الجلاء. وأغلقت منذ الصباح أبواب محطة سكك حديد مصر، وقامت بعمليات تفتيش واعتقال لكل من تشبه فيه، وشاهد مراسلنا ٦ سيارات ترحيلات مكتظة بالمعتقلين بجوار مستشفى الهلال، انطلق ٣ منها إلي قسم شرطة الأزبكية، كما شنت قوات الأمن حملة اعتقالات في المناطق المحيطة لمسجد الفتح وشوارع الفجالة وكلوت بك، وطالت كذلك الموجودين علي المقاهي في هذه المنطقة وانتشر أفراد الأمن أعلي العمارات والمصالح الحكومية الموجودة في ميدان رمسيس، والمطلة علي شارع الجلاء، وكذلك أعلي الكباري وحاصروا كذلك منطقة الاسعاف، ووصل عدد عربات الأمن المركزي الموجودة بالمكان إلي أكثر من ٣٥ عربة تسببت في اختناق مروري بصورة كبيرة^(٢٥).

أكدت (إخوان أون لاين) أن قوات الأمن المصري استدعت خطيب مسجد الفتح قبل صعوده المنبر، يوم الجمعة، ١/٢، وشددت عليه بعدم الحديث عن غزة، وبالفعل تحدث الخطيب عن الهجرة ولم يتطرق إلي موضوع غزة، واكتفي بالدعاء لنصرة المسلمين دون تحديد طرف بعينه وأثناء الخطبة تجولت قوات الأمن داخل المسجد واعتقلت كل من تشبه فيه، كما قامت بإغلاق جميع المنافذ الفرعية وقامت بطرد المصلين فور انتهاء الصلاة واعتقلت كل من اعترض علي ذلك، ثم اتجهت قوات الأمن إلي مسجد الجمعية الشرعية بشارع الجلاء واصطفت عربات الأمن حول المصلين!^(٢٦).

في اليوم نفسه، حدث أمر مستفز وسابقة خطيرة حيث قامت قوات الأمن بإغلاق مسجد الفتح في وجه المصلين، ومنعت دخول أحد إلى المسجد بدون إبراز تحقيق شخصيته، فضلا عن اعتقال أي فرد من خارج محافظة القاهرة، رغم أن موقع هذا المسجد بالقرب من محطة سكك حديد مصر، مما يجعل أغلب مرتاديه من خارج القاهرة. وقد وقف الرائد المصري، طارق جلال من مباحث أمن الدولة علي الباب الرئيسي للمسجد، للاطلاع علي البطاقة الشخصية للمصلين قبل دخول المسجد، ولم يسمح إلا بدخول أبناء المنطقة المحيطة للمسجد، وبدا المسجد خاليا إلا من ٥ أو ٦ مصلين، علي غير العادة^(٢٧).

واحتلت قوات الأمن جنبات المسجد، وظهر عدد من جنود الأمن المركزي الذين يرتدون زيا مدنيا ويحملون جهاز اللاسلكي، كما منع الأمن النساء من الصلاة في المسجد، مبررا ذلك بأن هناك إصلاحات، وهو غير حقيقي! وفرضت قوات الأمن أطواقا أمنية مشددة علي كافة الطرق المؤدية إلي المسجد، وتركزت منفذا واحدا للدخول، يتراص فيه جنود الأمن المركزي وفرق الكارتيه ولا يدخل منه أحد. وفرضت القوات تشديدات أمنية بالغة علي مخارج محطة المترو، وأجبرت جميع الركاب علي عدم التوقف في ميدان رمسيس، وطالت التشديدات الأمنية جميع المارة الذين لم تسمح لهم قوات الأمن بالتجول في الميدان، وقامت بتفتيش كل من تشبته فيه^(٢٨).

وتأكيدا لأهمية دورهم في تجبيش الأمة للدفاع عن أهالي غزة ونصرة القضية الفلسطينية، تحدي بعض خطباء المساجد في محافظات مصر المختلفة تعليمات وزارة الأوقاف المشددة بمنع الإشارة أو التلميح من بعيد أو قريب لما يحدث في غزة أثناء خطبة الجمعة، وأقاموا صلاة الغائب علي أرواح شهداء فلسطين، وركزوا خطبهم في الحديث عن الأوضاع في غزة وما يحدث من مجازر صهيونية بشعة بحق أهالي قطاع غزة.

وتشير إخوان أون لاين إلى انتقاد خطباء المساجد للموقف الرسمي العربي المتخاذل والمتقاعس تجاه ما يحدث في غزة، مطالبين الحكام والزعماء العرب بإتخاذ موقف عملي لصد العدوان الصهيوني الغاشم علي أهالي قطاع غزة وحملوهم المسؤولية الكاملة أمام الله عز وجل لمنع شعوبهم من الخروج لنصرة القضية الفلسطينية والوقوف بجانب إخوانهم الفلسطينيين بالمال والنفس وكافة أشكال الدعم.^(٢٩)

ودعا خطباء المساجد بسرعة فتح باب الجهاد والأخذ بعوامل النصر التي حددها القرآن الكريم وأخذ بها الرسول صلي الله عليه وسلم في غزواته المختلفة في محاربته لليهود والكفار.

اما الصحف المعارضة فقد ركزت علي الغضب التي اشتعل في القاهرة وخمسة عشر محافظة^(٣٠)

ونشرت البديل يوم ٢٠٠٩/١/٤: "أغلقت قوات الأمن المصري معبر رفح، قبل الاجتياح بساعتين، وعادت السلطات المصرية تنتشر جنودها علي طول المعبر، وانتشرت في كل مكان بمدينة رفح المصرية، جميع الأجهزة الأمنية تستعد تحسبا لاقحام الفلسطينيين لمعبر رفح، وأمرت الأجهزة الأمنية رجال الأعمال بالخروج من محيط المعبر، كما أبعدت سيارات الاسعاف عن المكان"، واختفت القيادات الأمنية الكبيرة، فجأة وحلقت طائرات الاستطلاع الاسرائيلية بدون طيار، قبل القصف بعدة ساعات، في محيط المنطقة الحدودية.

استمرت المظاهرات لليوم الثامن علي التوالي، وتم اتهام ١٠ من المتظاهرين بإتلاف جامع الأزهر^(٣١).

وأشارت البديل إلي بيان لرئاسة الجمهورية الذي صدر في اليوم الذي بدأت فيه إسرائيل عملياتها البرية في القطاع (٢٠٠٩/١/٤)

"تدين الجمهورية، بأقوي العبارات، بدء إسرائيل عملياتها العسكرية البرية في قطاع غزة، وتوغل قواتها بأراضية، إن مصر، اذ تعاود مطالبة إسرائيل بوقف عدوانها، علي الفور دون قيد أو شرط"^(٣٢).

كما نوهت البديل إلى الاتهامات الموجهة للإخوان بحيازة منشورات، وأسلحة، ونيابة أمن الدولة تحبس ١٤ من قيادات الإخوان، بتهمة التحريض علي التظاهر، ومراسلة وكالات الأنباء العالمية. وفي اليوم نفسه أخلّي سبيل ١٠ من المواطنين، تظاهروا داخل الأزهر، نسبت إليهم النيابة تهمة "تعطيل المرور" (٣٣).

وأشارت إسلام أون لاين إلي أن مجلس الشعب المصري، قد وقف دقيقة حداد علي أرواح شهداء غزة ونواب الشوري يطالبون بطرد السفير الإسرائيلي.

كما أشارت إلي مباراة الأهلي والإسماعيلي التي أقيمت يوم السبت ٣ يناير ٢٠٠٩ في استاد الاسماعيلية الدولي في الدوري المصري وانتهت بفوز الأهلي ١/٠ صفر، وقد اندلعت علي اثرها أحداث عنف وشغب بين جمهور الفريقين (٣٤).

لكن تداعيات المباراة لم تتوقف عند هذا الحد بل تطور الأمر ليصبح "شماتة وفضيحة" انتهزها الإعلام الإسرائيلي للشماتة في مباراة بدأت بهتافات جماعية ضد العنف الصهيوني علي غزة، وانتهت بمعركة محلية.

فقد نقلت صحيفة "هاأرتس" الإسرائيلية تفاصيل المباراة بالكامل.. وأن لاعبي الإسماعيلي والأهلي بدأوا المباراة مرتدين قمصانا موحدة مكتوب عليها "غزة في قلوبنا" وأن الجماهير بدأت في الغناء "بالروح بالدم نفديك يا فلسطين" (٣٥).

وأضافت الصحيفة أن اللاعبين والجمهور وقفوا دقيقة حداد علي أرواح شهداء غزة، وبدأت الشعارات التي رفعها الجماهير في المباراة للتعبير عن الرفض المصري لما يحدث في غزة.

واختتمت الصحيفة مقالها بأن المباراة التي بدأت بوحدة الصف ضد اسرائيل وأحداث غزة انتهت بمعركة حربية بعد أن أحرز بركات هدف الأهلي وأدي إلي فوز الأهلي بالمباراة ليقوم جمهور الاسماعيلي برمي الزجاجات الفارغة والأحجار وكل ما وقع تحت يدهم، علي احتياطي الأهلي ومن بعده علي لاعبي الأهلي.

هذا وقد استمر الأمن المصري في إغلاق مداخل القاهرة، لمنع مظاهرات التنديد بالعدوان. ويؤكد مصدر في الداخلية: لدينا تعليمات باعتقال أي متظاهر، في

الوقت الذي استمرت فيه المظاهرات في أنحاء القاهرة، لليوم العاشر، علي التوالي، وفي الوقت ذاته استدعت وزارة الخارجية المصرية السفير الإسرائيلي، للمرة الثالثة لإبلاغه استيائها من العدوان، ويقول الناطق بلسان الخارجية، حسام زكي: مصر أبلغت السفير بأنها غير راضية تماماً عن العمليات العسكرية الإسرائيلية. في الوقت الذي قامت مطرانية القوصية بوقفه احتجاجيه وأصدرت وثيقة تأييد من الأسقف والكهنة عن "مواقف مبارك الحكيمة"^(٣٦)!

في ١/٩ أشارت البديل غلى قيام مسؤولى الأمن المصري بطرد الدكتور غازي حمد المتحدث باسم حكومة "حماس" في غزة، بعد أن سمحت له بالدخول إلى المعبر، لاستلام المواد الاغاثية. واستجاب في مجلس الشعب يطالب بمحاكمة رئيس الوزراء، وعزله، لاستمرار تصدير الغاز الي إسرائيل. حيث قدم النائب الوفدي، عبد العليم داود، استجوابه قائلاً: آلة الحرب الإسرائيلية تستغل، مواردنا، لقتل أبنائنا في غزة.. والمدركات، وقوات الأمن المركزي، مظاهرات نسائيتين للتضامن مع غزة، والجبلي يصرح : "قدمنا طلباً إلى الصليب الأحمر، لإدخال أطبائنا وإسرائيل لم ترد.. أما القضاء، فوقفوا حداداً علي الشهامة، والنخوة اللتين خلّتا من الحكام العرب، السذين يسمون المقاومة إرهاباً، ويسعون لنيل رضا العدو المحتل، في الوقت الذي انقطع التيار الكهربائي عن غزة، مما يهدد مرضاها بالموت في المستشفيات"^(٣٧).

رفض في الجيش

لم يقتصر رفض العدوان الإسرائيلي بين صفوف الشعب فحسب، بل أمتد إلى صفوف المجندين المصريين، حيث أكدت صحيفة "صوت العرب" القطرية، في عددها الصادر في ٢٠٠٩/١/٧، نقلاً عن إسبوعية "صوت الأمة" القاهرية، بأن أفراد قوات الأمن المصري بمعسكر ناصر للأمن المركزي، رفضوا التوجه للحراسة في معبر رفح علي الحدود مع غزة. وقالت الصحيفة: إن المتمردين طالبوا بالذهاب إلى غزة، للدفاع عنها، وليس لمنع مواطنيها من دخول مصر، مؤكدة أن أجهزة بوزارة الداخلية إعتقلت ثلاثة ضباط وأحالت مجموعة أخرى إلى الاحتياط، بدعوي تزعمهم التمرد!^(٣٨)

المرحلة الثانية من ١٠ يناير إلى نهاية الحرب

عقب مذبحة مدرسة الأونروا التي أرتكبتها إسرائيل طالبت مصر بالتحقيق فيها وإدانتها وفي اليوم التالي قام الرئيس مبارك والرئيس السابق للسلطة الفلسطينية بالتباحث حول وقف شلال الدم في غزة.. ولا نعرف ما علاقة محمود عباس بالموضوع، فبدلاً من بحث الأمر مع المسئول المباشر عن العدوان، يتم التباحث مع شخص شارك في حصار شعبه، واذ بالأهرام تخرج علينا لتؤكد بأن مهمة مصر توفير الحياة الآمنة للفلسطينيين وليس تعزيز قدرات الحرب، ومن الواضح أن هذا القول يمثل رد القيادة المصرية علي من يطالب بإمداد المقاومة بالسلاح!! ونجد أن القيادة تؤكد مراراً بأنه لن يكون هناك أي وجود للقوات الدولية علي الأراضي المصرية وكأن هناك اتهام دائم لمصر بموافقتها علي استغلال أراضيها لتشديد الحصار علي القطاع^(٣٩)

بعد مرور أكثر من أسبوعين على العدوان خرجت علينا الأهرام بعنوان "إسرائيل تتحدي العالم" وكان ذلك اكتشافاً ولم تشر إلي إصابة ضابطي شرطة، وطفلين مصريين برصاص إسرائيل (٢٠٠٩/١/١١).. وذلك بهدف قطع الطريق علي الحقن شعبي علي إسرائيل في حين سلطت الأضواء علي الضابط المصري، الذي قيل أن حماس قتلته لكي تخلق رأى عام ضد حماس والمقاومة.

ومما يزيد الأمر غرابة اشادة الأهرام بجهود سوزان مبارك، لدعم المرأة الفلسطينية... وكان ينتظر بأن تكون الإشادة للمرأة الفلسطينية، التي تتعرض للقصف والقتل، والتي ينزف قلبها دماً علي فلذات كبدها. ولكن برقية الإشادة وصلت من لجنة المرأة بإتحاد الإذاعة والتليفزيون، المصري، برئاسة الدكتورة فرخندة حسن^(٤٠)

وفي يوم ١٤ يناير/ كانون الثاني، وأثناء زيارة بان كي مون للقاهرة، استمر الرئيس مبارك في مباحثاته، الرامية لوقف إطلاق النار، في الوقت الذي قطعت فيه بوليفيا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، لتكون الثانية من أمريكا اللاتينية، بعد فنزويلا، التي سبقتها.

وعقب توقيع الولايات المتحدة المتحدة وإسرائيل تفاهما، لمنع تهريب الأسلحة إلى "حماس"، أكدت القيادة المصرية علي السيادة المصرية الكاملة عبر معبر رفح، ويبدو أن هذه الاتفاقية المفاجئة قد اربكت مصر^(٤١).

وغداة مؤتمر الدوحة في ١٧/١، جدد مبارك مطالبته لإسرائيل بوقف إطلاق النار، فوراً والانسحاب الكامل من غزة، وقال: "قلنا للذين يقسمون الصف العربي، ماذا فعل الممانعون لشعب فلسطين وتحرير الأرض العربية".^(٤٢)

وقد جاء ذلك عقب الانتقادات التي وجهت إلى القاهرة لرفضها المشاركة في مؤتمر الدوحة، بل انها راحت تجري اتصالاتها لكي تعطل تلك القمة التي سببت لها الاحراج، خاصة وأن رفض الحكم المصري يعزي إلى السرعة التي أعلن عنها في القمة، علماً بأن الرئيس مبارك قد دعا إلى قمة دولية في شرم الشيخ، يوم ١٨/١، فتمت الدعاية لها قبيل ساعات من موعد انعقادها.

وقد اكد الرئيس مبارك أنه سيدعو إلى قمة عالمية في شرم الشيخ لبحث استعادة الهدوء في غزة.. كان ذلك في اليوم الذي أوقفت إسرائيل إطلاق النار، من جانب واحد. ليخرج علينا أولمرت مؤكداً بأن وقف إطلاق النار جاء استجابة لطلب الرئيس مبارك^(٤٣).

وسرعان ما خرج علينا الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم بقراره الذي يقضي بإنشاء اربعة مجموعات عمل لإدارة التحرك السياسي في الحزب، علي مستوي التنظيم الحزبي، وعلي المستوي الشعبي، ومؤسسات المجتمع المدني بهدف تنوير المجتمع حول دور مصر المحوري بدعم القضية الفلسطينية، ومحاصرة محاولات النيل من عطاء الشعب المصري، وتضحياته عبر عقود طويلة من القضية الفلسطينية^(٤٤)، هذا بدلا من عمل لجان لمساندة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. وليست لتجميل وجه الحزب وقيادته أمام الشعب المصري، خاصة وان الجميع يعترف للشعب المصري بدوره المشهود في مجال القضية الفلسطينية.

في اليوم نفسه تحدثت الصحف الحكومية المصرية عن دور مصر في وقف إطلاق النار، فور انتهاء القمة في شرم الشيخ وجاء في مانشيت إحدى الصحف الحكومية بعد انتهاء القمة بساعات (أولمرت يبدأ بسحب قوات الاحتلال من غزة^(٤٥))، وخرج علينا بعد قرار مجلس وزرائه المصغر، القاضي بوقف إطلاق النار، ليؤكد بأنه أتخذ القرار، نزولاً لطلب الرئيس مبارك "فوراً"، وإن جاءت فوراً متأخرة قليلاً حيث ظل مبارك ٢٢ يوم يطالب بوقف إطلاق النار الي ان استجيب لمطالباته^(٤٦).

وشهدت نهاية القمة إعلان مبارك، لأول مرة، عن اتفاق متكامل لوقف إطلاق النار، حيث أكد بأن: "بطش إسرائيل لن يقهر المقاومة"، وربما تكون المرة الأولى التي يشير إليها النظام المصري للمقاومة الفلسطينية، بالرغم من نجاحها في منع قوات الاحتلال من تحقيق أهدافها.

ثم جاء الخطاب الثالث لمبارك، والذي نشر في الأخبار، بالتفصيل، في ٢٠/١/٢٠٠٩، موضحاً بأن المقاومة الفلسطينية دائماً ما كانت تلقى دعماً مصرياً، حيث أكد بأن "منظمة التحرير" انطلقت من القاهرة، وأن مصر دعمت رموزها، وفصائلها، وتحترم إرادة المقاومة، وصمودها، مستطرداً بأن المقاومة لا بد أن تكون مسئولة أمام شعوبها.

وأضاف مبارك، بأن لمصر موقفاً مميزاً من العدوان، حيث أنها حذرت من مغبة رفض تجديد الهدنة، وإلا كانت دعوة مفتوحة للعدوان. مشيراً إلى أن موقف مصر كان قوياً، منذ اليوم الأول دون أن يدلنا إلى منبع قوة هذا الدور، أو الحديث عن الدور نفسه. وأكمل مبارك حديثه، عن تقديمه المبادرة الوحيدة للخروج من الأزمة، وفتح معبر رفح، من اللحظة الأولى!. مؤكداً تقديم أكثر من ٣ آلاف طن من المساعدات. وانتهى الرئيس المصري إلى أنه لن يهدأ حتى تنسحب إسرائيل من غزة، ويعاد فتح المعابر، وإنهاء الحصار^(٤٧).

بعدها أشارت البديل إلى قيام مجهولين بزرع عبوات ناسفة حول السفارة المصرية في جاكارتا (إندونيسيا). ويقول السفير أحمد القويسني، (سفير مصر

بإندونيسيا): إن مسئولى السفارة حرصوا، خلال الأيام الماضية، على توضيح الحقائق بشأن معبر رفح، والدور الذي تلعبه مصر في دعم القضية الفلسطينية، وإدخال المساعدات الإنسانية إلى القطاع^(٤٨) وقد حرصت سفارات مصر في الخارج، على توضيح الدور المصري، خلال العدوان، والذي لم يكن واضحاً بالشكل الكافي أمام الشعب المصري نفسه، وليس للعالم فحسب. ولكن وسائل الإعلام الحكومية، ومحطات التلفزيون الرسمية المصرية، حرصت على التركيز على "الدور المصري العظيم" والذي من دونه ما كانت القضية الفلسطينية أن تحيا، إلى الآن^(٤٩).

موقف المعارضة المصرية :

هذا وقد واصل مئات المتظاهرين احتجاجهم كما اعتدت الآلاف من عناصر قوات الأمن على مظاهرة في العريش، كما قطعت ١٥ سيارة من الأمن المركزي الطريق على قافلة للجنة الشعبية لدعم فلسطين وحظرت سلطات الأمن مرور الفضائيات إلى رفح، بدعوى وضع سيناء الأمني!.

واصلت صحف المعارضة الحديث عن المظاهرات، والإشارة إلى التحقيقات مع المتظاهرين، حيث واصلت النيابة التحقيق مع ٢٤ متظاهراً في العريش، وبورسعيد، بتهمة "سب الرئيس". وقدمت المعارضة بلاغاً إلى النائب العام، طالبت فيها بالإفراج عن ٤٠ معتقلاً بالقاهرة^(٥٠).

وفي الوقت نفسه، تحدثت جرائد المعارضة عن اشتباكات عنيفة بين نواب الإخوان والوطني الحاكم، في مجلس الشعب بسبب محرقة غزة^(٥١).

في يوم ١٣ يناير/كانون الأول، وعلى لسان مصدر أمني أكد أن الخارجية "استدعت سفير إسرائيل، لإبلاغه استياء مصر من الاختراق المبالغ فيه"، للمجال الجوي المصري، وذلك معناه أن هناك موافقة ضمنية على مبدأ الاختراق ولكن ليس اختراق مبالغ فيه. في حين استمرت قوات الأمن اعتقال المتظاهرين حيث اعتقلت ١٠٠ مواطناً في دمنهور، خلال مظاهرات ضد العدوان^(٥٢).

وقد طالب نواب الإخوان في مجلس الشعب، بمنع زيارات الأكاديميين الإسرائيليين إلى الجامعات المصرية. كما رفع أساتذة جامعة القاهرة دعوى قضائية لمنع قادة إسرائيل من دخول مصر.

وبعد حوالي ١٨ يوماً من العدوان، قام نجل الرئيس، جمال مبارك، بزيارة رفح وقد ذهب إلى هناك في سيارة رجل الأعمال المعروف، حسن راتب، وقام الأمن المصري بمنع نقل الجرحى الفلسطينيين لتلقي العلاج في القاهرة، وظل أولئك الجرحى يصارعون الموت حتى انتهاء الزيارة. كما منعت قوافل "اتحاد الأطباء العرب" و"الجمعية الشرعية". وقد التزمت إسرائيل بالهدنة "الإنسانية"، ثلاث ساعات يومياً أثناء زيارة جمال مبارك لرفح^(٥٣).

هذا وقد كشفت البديل عن سحب المهندسين العسكريين الأمريكيين من الحدود المصرية الفلسطينية وبالرغم من دأب الحكم المصري على نفي تواجد أجنبي داخل حدودها!!، مع أن "البنتاجون" أكد: نزود المصريين منذ عام بالمشورة الفنية لكشف الأنفاق وتدميرها.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الصحف الحكومية أغفلت ذكر الاعتصام الذي قام به نواب المعارضة في مجلس الشعب واقتصرت على ذكر مؤتمر الحزب الوطني الحاكم للتبديد بما يحدث في غزة^(٥٤).

ثانياً : اتجاهات الصحف إزاء العدوان:

شنت إسرائيل عدوانها الوحشي على غزة الذي أستمّر ٢٢ يوماً (٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ - ٧ يناير ٢٠٠٩) وأستهدفت العزل المدنيين كما استخدمت إسرائيل أسلحة محرمة دولياً ودمرت البنية التحتية لقطاع غزة وأمتد عدوانها للمدراس والمستشفيات وأماكن العبادة وكان معظم ضحايا هذا العدوان من الشيوخ والنساء والأطفال وواجهت مصر هذا العدوان الذي حظى بدعم أمريكي وتأييد أوروبي بإعتباره يمثل تهديداً للأمن القومي المصري علاوة على حرص الحكومة المصرية على مسار التسوية السلمية وكي لا يتأكل دور مصر القومي في إطار الصراعات الحادة التي تموج بها المنطقة

العربية. وقد كان موقف مصر الرسمي من العدوان الإسرائيلي على غزة بؤرة لتقاطع عدة مستويات من الصراع الدولي والإقليمي والمحلي انعكست على خطابات الصحف المصرية التي استهدفت مختلف شرائح الرأي العام المصري والعربي. ويعتبر الموقف المصري نقطة تحول تاريخي نوعي في موقف مصر من القضية الفلسطينية بإعتباره حلقة في سلسلة التراجع والتخلي التي بدأت بإتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨، ١٩٧٩ ثم اسهام مصر المباشر في إنجاز اتفاق أوسلو ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

وقد أجمعت معظم الصحف المصرية (القومية والحزبية والخاصة)^(٥٥) على وجود أزمة في الموقف الرسمي المصري من العدوان الصهيوني ولكن أختلفت تصوراتهم بشأن طبيعة هذه الأزمة. فقد رأت الصحف القومية خصوصاً الأهرام أن الأزمة تكمن في تأمر أطراف دولية وأقليمية لتهميش دور مصر الإقليمية وتهديد أمن مصر القومي. فيما رأت الصحف الحزبية (الوفد والأهالي) وبعض الصحف الخاصة (المصري اليوم والأسبوع والدستور والبدل) أن هذه الأزمة ترتبط أساساً بالضعف الذاتي للموقف المصري من ناحية ويتواطؤ النظام المصري الحاكم مع إسرائيل من ناحية أخرى. وقد لخصت كل من الأهرام والوفد والمصري اليوم أسباب تأزم الموقف المصري إزاء العدوان الإسرائيلي على غزة في الحيلولة دون تورط مصر في الدخول في مواجهة عسكرية مع إسرائيل والخوف من تهجير أهالي غزة إلى سيناء فضلاً عن تردى كل من الأداء الإعلامي والدبلوماسي أثناء العدوان^(٥٦) وأضافت الوفد عدة أسباب أخرى تتمحور حول: سيطرة الرؤية التقليدية المحافظة على السياسة الخارجية المصرية وضعف السيادة المصرية^(٥٧) أما المصري اليوم فقد ركزت على سببين رئيسيين يتعلقان بحرص النظام الحاكم على إرضاء إسرائيل وأمريكا والمصالح الاقتصادية التي تربط مراكز النفوذ في الحكومة المصرية بالدوائر الصهيونية^(٥٨) هذا وطالبت الصحف الحزبية والخاصة بضرورة فتح معبر رفح وتعديل معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. وركزت الوفد والأهالي على المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وأقتصرت الأهرام على المطالبة بزيادة المساعدات الإنسانية للمدنيين في

غزة^(٥٩) وأتسم خطاب الأهرام بالطابع التبريري المتعالى خلافاً للخطاب النقدي الذى تميزت به مواقف الصحف الحزبية والخاصة وأجمعت الصحف المصرية على أن تردى الأوضاع العربية المتمثل فى عجز الحكومات عن مواجهة الولايات المتحدة باعتبارها الداعم الرئيسى لإسرائيل علاوة على الفجوة الطبقيّة الحادة بين الدول العربية وداخل كل منها واستمرار النمط الاستبدادى فى الحكم واستبعاد الشعوب العربية من المشاركة السياسية الأمر الذى أدى الى تفاقم الأزمة القومية على المستوى العربى وإنعكاس ذلك سلباً على النظام الأقليمى العربى الذى أصبح منقسماً على نفسه الى درجة الشلل والعجز عن مواجهة التحديات التى تحاصر المجتمعات العربية محلياً وأقليمياً. فى قلب هذه الأوضاع تبرز أماننا الملايسات والأسباب الدولية والأقليمية التى أسهمت فى تراجع المكانة الإقليمية لمصر مع عدم إغفال القيود التى تفرضها معاهدة السلام مع إسرائيل وإصرار النظام الحاكم على عدم تعديل وإنهاء هذه المعاهدة التى أنتهت المدة القانونية لها منذ ثلاث سنوات.

هذا وقد أنفردت كل من الصحف الحزبية والخاصة بمتابعة المظاهرات الشعبية التى اجتاحت جميع المدن المصرية احتجاجاً على العدوان الصهيونى على غزة. كما أنشغل كتابها بتفسير موقف النظام المصرى الذى فضل الدخول فى مواجهة مع المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) على الدخول فى مواجهة مع إسرائيل وأمريكا خوفاً من تعريض مشروع توريث السلطة للخطر ولذلك دأبت الأعلام المعارضه على مطالبة السلطة المصرية بضرورة الاعتراف بحماس وأشراكها فى تنفيذ بنود المبادرة المصرية خصوصاً وأن تجاهل حماس كقوة سياسية فى المشهد الفلسطينى لن يفضى الى نتيجة بل سيؤدى إلى مزيد من التأزم. كما أن إصرار واشنطن وأوروبا وإسرائيل على عزل حماس من معادلة التسوية والصراع هو الذى قاد الى استحالة التوصل الى حل. كما طالبت الأعلام المعارضة فى الصحف الحزبية والخاصة بوقف تصدير مصر للغاز الى إسرائيل كوسيلة من وسائل الضغط السياسى^(٦٠) وشددت على ان السلام إذا لم يكن قائماً على توازن القوى والمصلحة فسوف ينتهى الى حالة من الخضوع والاستسلام مما يشجع الطرف الأقوى على استمرار العدوان وأغتصاب الحقوق

واملاء الشروط وهو ما يحدث الآن من إزدراء اسرائيل بقرار مجلس الأمن وعدم التجاوب مع المبادرة المصرية^(٦١) ويمكن القول أن موقف النظام الحاكم في مصر من العدوان الاسرائيلي على غزة لا يعزى فقط الى الأسباب الدولية والاقليمية بل ينطلق أساساً من طبيعة السلطة وأنحيازاتها السياسية والاقتصادية والطبقية وأعتماها على كوادر تفتقر الى الكفاءة المهنية والنزاهة الأخلاقية مع ضعف الانتماء الوطنى والقومى وترجيحها للمصالح الشخصية على مصلحة الأمن القومى المصرى^(٦٢).

الهوامش

١. الأهرام ٢٦/١٢/٢٠٠٨
٢. الأخبار ٢٧/١٢/٢٠٠٨
٣. ٢٤ ساعة ٢٨/١٢/٢٠٠٩
٤. الأهرام ٢٨/١٢/٢٠٠٨
٥. الأهرام ٢٩/١٢/٢٠٠٨
٦. الأهرام ٢٩/١٢/٢٠٠٨
٧. الأهرام ٣١/١٢/٢٠٠٨
٨. الأخبار ٣١/١٢/٢٠٠٨
٩. المصدر السابق
١٠. المصدر نفسه، العدد نفسه
١١. الأخبار ٣١/١٢/٢٠٠٨
١٢. الأهرام ٣١/١٢/٢٠٠٨
١٣. ٢٤ ساعة ٣١/١٢/٢٠٠٩
١٤. الأهرام ١/١/٢٠٠٩
١٥. الأهرام ٢/١/٢٠٠٩
١٦. الأهرام ٣/١/٢٠٠٩
١٧. الأهرام ٣/١/٢٠٠٩
١٨. ٢٤ ساعة ٤/١/٢٠٠٩
١٩. المصدر السابق
٢٠. الأهرام ٤/١/٢٠٠٩
٢١. الأهرام ٥/١/٢٠٠٩
٢٢. الأهرام ٦/١/٢٠٠٩
٢٣. الأهرام ٧/١/٢٠٠٩
٢٤. إخوان أون لاين (موقع إلكتروني) ٢/١/٢٠٠٩
٢٥. المصدر السابق

٢٦. المصدر السابق
٢٧. المصدر السابق
٢٨. المصدر السابق
٢٩. المصدر السابق
٣٠. البديل ٢٠٠٩/١/٣
٣١. المصدر نفسه، العدد نفسه
٣٢. المصدر نفسه، العدد نفسه
٣٣. البديل ٢٠٠٩/١/٤
٣٤. إسلام أون لاين (موقع إلكتروني) ٢٠٠٩/١/٦
٣٥. المصدر السابق
٣٦. البديل ٢٠٠٩/١/٥ - ٢٠٠٩/١/٦
٣٧. البديل ٢٠٠٩/١/١٠
٣٨. البديل ٢٠٠٩/١/٨
٣٩. الأهرام ٢٠٠٩/١/١١
٤٠. ٢٤ ساعة ٢٠٠٩/١/١٥
٤١. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٧
٤٢. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٨
٤٣. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٩
٤٤. المصدر السابق
٤٥. ٢٤ ساعة ٢٠٠٩/١/١٩ - المصري اليوم ٢٠٠٩/١/٢٠
٤٦. روز اليوسف ٢٠٠٩/١/٢٠
٤٧. الأهرام ٢٠٠٩/١/٢١
٤٨. البديل ٢٠٠٩/١/١٠
٤٩. البديل ٢٠٠٩/١/١١
٥٠. المصري اليوم ٢٠٠٩/١/١١
٥١. البديل ٢٠٠٩/١/١٣
٥٢. البديل ٢٠٠٩/١/١٤

٥٣. البديل ٢٠٠٩/١/١٥

٥٤. المصدر السابق

٥٥. أنظر كل من :

أ- جمال عبد الجواد: غزة عبء على مصر أم رصيدها. الأهرام ٢٠٠٨/١٢/٢٩

ب- وحيد عبد المجيد: انتفاذ غزة وانتفاذ دور مصر الأقليمي. الوفد ٢٠٠٩/١/٨

ج- عمرو الشويكى: هل فعلاً مصر أولاً؟! المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/٢٩

د- حسن نافعة: العار. المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/١١

هـ- عبد الرؤف الريدى: غزة والأمن القومى المصرى. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٨

و- فاروق جويده: حروب بالدم وحروب بالكلام. الأهرام ٢٠٠٩/١/٢٣

٥٦. أنظر كل من:

أ- سعد الدين إبراهيم: غزة القمم والفضائيات العربية والبطوح. المصرى اليوم

٢٠٠٩/١/٢٤

ب- السيد ياسين: دوائر الصراع المعقدة. الأهرام ٢٠٠٩/١/٢٢

ج- عبد المنعم سعيد: عودة الأمور الى مصر مرة أخرى. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٩

٥٧. أنظر كل من:

أ- وحيد عبد المجيد: مصير الاعتدال العربى. الوفد ٢٠٠٩/١/٥

ب- المخلص، وحيد عبد المجيد: المبادرة المصرية. الوفد ٢٠٠٩/١/١٢

ج- كاميليا شكرى: مواقف كاشفة ولحظات فارقة. الوفد ٢٠٠٩/١/٢٢

٥٨. أنظر كل من:

أ- جمال البنا: تداعيات أحداث غزة. المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/٢١

ب- نبيل شرف الدين: الحرب التى انتصر فيها الجميع المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/٢٩

ج- حسن نافعة: السقوط. المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/١٨

٥٩. أسامة سرايا: تحرك مصر لوقف العدوان وخطاب التحريض والوقيعة. الأهرام

٢٠٠٩/١/٧

٦٠. أنظر كل من:

أ- سلامة أحمد سلامة: التعامل مع حماس. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٥

ب- سلامة أحمد سلامة: لماذا يجب وقف تصدير الغاز. الأهرام ٢٠٠٩/١/١٣

ج- عمار على حسن: إسرائيل تعتدى ومصر تدفع الثمن. المصرى اليوم

٢٠٠٩/١/٢٠

د- مصطفى شفيق: انفذوا الشعب ولا تقتلوا حماس. الوفد ٢٠٠٩/١/١٠

٦١. أنظر كل من:

أ- ضياء رشوان: بدائل ومقترحات عاجلة لمن يهمة الأمر. المصرى اليوم

٢٠٠٨/١٢/٢٩

ب- بلال فضل: اصطباحة. المصرى اليوم ٢٠٠٩/١/١٨

٦٢. لمزيد من التفاصيل انظر كل من:

أ- هشام عبد الغفار: عناصر الصورة الإعلامية لموقف مصر الرسمي إزاء العدوان

الأسرائيلي. دراسة غير منشورة ٢٠٠٩

ب- حسنين توفيق إبراهيم: العدوان الأسرائيلي على غزة سلسلة كراسات استراتيجية.

العدد ٩٧ (القاهرة - مركز الأهرام للدراسات السياسية والأستراتيجية ٢٠٠٩)

ج- سامح راشد: العدوان على غزة. ابعاد الموقف المصرى. مجلة السياسة الدولية

العدد ٧٦ إبريل ٢٠٠٩

الخاتمة

لقد اهتمت هذه الدراسة برصد وتحليل اتجاهات رأى العام المصرى الرسمى والشعبى من خلال الصحف نحو القضية الفلسطينية، منذ صدور وعد بلفور (نوفمبر ١٩١٧) وحتى توقيع أول معاهدة عربية صهيونية بين مصر وإسرائي (مارس ١٩٧٩) ثم اتفاق أوسلو ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. ولقد شملت الدراسة حقبة زمنية تجاوزت تسعين عاماً تفاعل خلالها الواقع المصرى بمعطياته الاجتماعية والسياسية والثقافية مع الواقع العربى وفى قلبه القضية الفلسطينية بانتصاراتها وانكساراتها وباصرار شعبيها على استرداد حقوقه المشروعة، مستعيناً بكافة أشكال النضال بدءاً بالمسيرات السلمية والمؤتمرات الشعبية وانتهاء بالانتفاضات المسلحة. ولقد تم تناول الدراسة من خلال مرحلتين:

أولاهما: تبدأ بالعام الذى تقرر فيه رسمياً الموافقة على صك الانتداب البريطانى على فلسطين وهو يوليو ١٩٢٢. ويمثل هذا التاريخ البداية الفعلية لتأسيس ما يسمى بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين وتنتهى فى مايو ١٩٤٨. وهو العام الذى يرمز إلى ضياع فلسطين العربية وقيام دولة اسرائيل على حساب الأرض والشعب العربى فى فلسطين.

ثانيتهما: تركز على ثورة يوليو المصرية ١٩٥٢ التى خرجت من عباءة الصراع الدامى بين قوى التحرر العربية والقوى الصهيونية على أرض فلسطين فى حرب ١٩٤٨.

وقد انقسمت المرحلة الثانية إلى حقتين تختلفان بصورة جذرية سواء فى التوجهات السياسية والاجتماعية أو المواقف من القضايا العربية أو التحالفات الدولية.

وتمثل الحقبة الأولى (١٩٥٤-١٩٧٠) فترة الحكم الناصرى، أما الحقبة الثانية فقد بدأت بعد رحيل عبد الناصر وتولى أنور السادات السلطة (أكتوبر ١٩٧٠ - أكتوبر

١٩٨١) ثم تأتى الحقبة الثالثة (١٩٨١-٢٠٠٨) فترة حكم حسنى مبارك وتعتبر امتداد للحقبة السادتية.

ومن خلال الحرص على إبراز المواقف والاتجاهات التى تبنتها السلطة الحاكمة والقوى السياسية والرأى العام المصرى من القضية الفلسطينية خلال المرحلتين، المرحلة الليبرالية ثم ثورة يوليو تم التوصل إلى مجموعة من النتائج والاستخلاصات التى نأمل أن تنال مزيداً من التأصيل فى دراسات قادمة.

وتتلخص هذه النتائج فيما يلى:

أولاً: مرحلة ما قبل قيام الكيان الصهيونى (١٩١٧-١٩٤٨)

كان الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية موجوداً على المستوى الشعبى خلال حقبتى العشرينات والثلاثينات. ولكنه تصاعد فى الأربعينات والتحم بالاهتمام الرسمى وبلغ ذروته عام ١٩٤٨. ويمكن رصد تطورات الرأى العام المصرى على النحو التالى:

أ - كان الاهتمام بالقضية الفلسطينية محصوراً فى طبقة المهاجرين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين منذ أواخر القرن الماضى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ب- كان الاهتمام محصوراً فى الفئات الدينية طوال العشرينات وقد كانت قضية البراق سنة ١٩٢٩ هى الحادث الأولى الذى أثار اهتمام الشعب المصرى بالقضية على نطاق واسع. وكانت المبادرة فى ذلك الموقف للفئات الإسلامية فى مصر. وخاصة جمعية الشبان المسلمين التى كانت تقيم اجتماعاً سنوياً فى ذكرى وعد بلفور وتعدّد المؤتمرات وتجمع التبرعات من أجل الشهداء الفلسطينيين. كما كانت تتبادل الزيارات مع فروع الجمعية فى المدن الفلسطينية (يافا وحيفا والقدس)، كما أوفدت من جانبها وفداً برئاسة محمد على علوبة وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام اللجنة الدولية التى شكلتها عصبة الأمم للتحقيق

فى النزاع. وقد انتقل الاهتمام إلى سائر التنظيمات الشعبية مثل نقابة المحامين التى قررت إيفاد مجموعة من كبار المحامين المصريين للدفاع عن الأحرار الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية فى أحداث البراق.

وتعتبر الصحافة المصرية فى العشرينات مؤشراً هاماً للاهتمام الشعبى فى مصر بالقضية الفلسطينية. فى الوقت الذى اتسم فيه موقف الحكومات المصرية ازاء القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام، بل وصل أحياناً إلى حد اتخاذ مواقف معادية. كانت الصحافة المصرية بمختلف أجنحتها واتجاهاتها تتابع باهتمام تطورات القضية الفلسطينية من كافة زواياها، وتبدى تفهماً عميقاً وإدراكاً مبكراً للخطر الصهيونى فى فلسطين والعالم العربى. وقد ساهمت بالفعل فى خلق تراث من الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية.

ومع منتصف الثلاثينات بدأ الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية يصبح أكثر اتساعاً ويضم قطاعات أوسع من رأى العام والقوى السياسية المصرية.

أما فى الأربعينات فيمكن القول أن فلسطين كانت محل الصراع المباشر بين الحركة الوطنية المصرية وبين المعسكر الاستعمارى بنوعية القديم الممثل فى بريطانيا والجديد الممثل فى الولايات المتحدة. وكان الصراع بين الاستعمارين البريطانى والأمريكى من أجل الاستحواذ على الشرق الأوسط بامكانياته الاستراتيجية والبتروولية ومحاولة التركيز على فلسطين باعتبارها المحور الذى سوف يمكن القوى الوطنية من تحقيق طموحاتهم وأهدافهم، علاوة على تحريك الصهيونية نحو الولايات المتحدة باعتبارها السيد الجديد وانتقال الولاء الصهيونى من بريطانيا إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية. كل ذلك كان مدرسة تلقى فيها الحركة الوطنية المصرية دروساً هامة فى فهم دورها كجزء من قوى التحرر العربية فى مواجهة الخصوم الجدد والتقليديين معاً أى أمريكا وبريطانيا والصهيونية.

هذا وقد كان موقف مصر الرسمى من فلسطين، والذى أعلنته الحكومة المصرية على لسان ممثلها عبد الرزاق السنهورى فى مؤتمر لندن فى نهاية عام ١٩٤٦ تلخيصاً

وافتياً لموقف الرأى العام المصرى بجميع مستوياته الرسمية والشعبية من القضية الفلسطينية، إذ عبرت مصر عن رفضها القاطع لأى شكل من أشكال التقسيم لفلسطين أو إقامة دولة يهودية فى هذا الجزء من العالم. كما أعلنت عن استعدادها للحيلولة دون تحقيق الهدف الصهيونى ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة. وقد كان هذا الموقف بداية لسلسلة من الأحداث والقرارات التى اتخذت طابعاً حاداً تمثل أولاً فى الاضرابات والمظاهرات الشعبية التى ازدحم بها الشارع المصرى تعبيراً عن سخط واجماع الرأى العام المصرى على قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧.

وتمثل ثانياً فى شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية التى بدأت تطرح نفسها على الساحة المصرية منذ تلك اللحظات وانقسمت ازاءها القوى الوطنية. فالوفد رغم اعتراضه الكامل على قرار التقسيم لم يرفع شعار الكفاح المسلح، كما لم يدع إلى انشاء كتائب لتحرير فلسطين بل تبنى هذا الموقف كل من جماعة الأخوان المسلمين ومصر الفتاة. أما اليسار المصرى فقد انقسم ازاء تطورات القضية الفلسطينية فى الأربعينات، إذ عارضت طليعة العمال والفلاحين قرار التقسيم وكانت تؤيد الدخول فى حرب ضد إقامة الدولة اليهودية. ولكن أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدثو) قرار التقسيم وعارضت الدخول فى الحرب من أجل فلسطين.

ثالثاً: لعل أبرز نتيجة توصلت إليها الدراسة تتمثل فى تلك الحقيقة المحورية وهى استمرارية المشروع الوطنى فى مصر كجزء لا يتجزأ من المشروع القومى العربى فى مواجهة استمرارية المشروع الصهيونى. فقد بدأ الصدام منذ اللحظة الأولى، وتمثل فى مواقف الرفض التى عبرت عنها صحف الحركة الوطنية المصرية. التى تبنت الرؤية الصحيحة لطبيعة الصراع الفلسطينى الصهيونى، رغم انبعاثها من تراث قومى مصرى لم يكشف عن اهتمامه الرسمى بالقضية الفلسطينية إلا عندما برزت فى الأفق حتمية المساس بالمصالح القومية المصرية، نتيجة إقامة دولة يهودية على حدود مصر (حديث الزعيم مصطفى النحاس مع السير مايلز لامبسون ١٤ يوليو ١٩٣٧).

ثانياً: ثورة يوليو بمراحلها الثلاث (١٩٥٢-٢٠٠٨)

لقد قامت ثورة يوليو المصرية عام ١٩٥٢، كى تكشف عن الحلقة المفقودة فى حركة التحرر الوطنى العربية. إذ عبرت منذ اللحظات الأولى لقيامها عن وعى قياداتها بالعلاقة المصيرية التى تربطها بحركة التحرر العربية. كما أدركت أن قضية فلسطين دون كل القضايا العربية هى جوهر قضية التحرر العربى.

ومع المعارك المتصلة والدائمة التى خاضتها ثورة يوليو كانت حركة التحرر الوطنى العربية تواصل اكتشاف طريقها. لقد كان الجلاء عن مصر خطوة نحو تحرير فلسطين. وكانت معارك الأحلاف والمشاريع الاستعمارية وضرب احتكار السلاح ومؤتمر باندونج ثم تأميم قناة السويس ١٩٥٦ وتحقيق الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ دفعة هائلة لحركة النضال العربى، ويشير الخروج من الدائرة الاستعمارية. وحين انصرفت ثورة يوليو مؤقتاً لتدعيم طريق تطورها الوطنى والاجتماعى فى الأعوام التى تلت الانفصال لم يكن ذلك نكوصاً أو تخلياً عن التزاماتها القومية. بل كان يمثل إحدى الحلقات التى أرتدت شكلاً جديداً فى قضية التحرير العربية والفلسطينية.

وتفصيلاً لذلك:-

أولاً: إذا كانت قيادة ثورة يوليو لم تتح للقوى السياسية المصرية فرصة مواصلة التعبير عن اتجاهاتها ومواقفها من القضية الفلسطينية خلال الحقبة الناصرية (كما حدث ورأينا فى المرحلة السابقة على الثورة)، فإن ذلك يرجع إلى انفراد القيادة السياسية الناصرية بصنع واتخاذ القرار السياسى على المستوى الوطنى (مصرياً) وعلى المستوى القومى (عربياً). وقد أدى ذلك إلى احتواء القيادة الناصرية للمشاعر الوطنية المصرية ازاء فلسطين كما ساعدها على أن تقفز بقضية التحرر الوطنى فى فلسطين إلى قضية التحرر الاجتماعى والسياسى فى الوطن العربى ككل.

ولكن ظلت فلسطين قلب وجوهر القضية الوطنية المصرية وعبرت الصحافة المصرية خلال الحقبة الناصرية عن موقف السلطة السياسية لثورة يوليو التى احتكرت الإشراف على أدوات التعبير السياسى والإعلامى. وإن لم يحل ذلك دون التعبير عن الاختلافات القائمة داخل السلطة الحاكمة وقطاعات الرأى العام المصرى.

وإذا كان وقوع الانفصال وضرب الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ يمثل بداية مرحلة الجزء القومى بالنسبة لثورة يوليو إلا أن تمسك عبد الناصر باسم دولة الوحدة وعلمها وتأكيد في الميثاق عن مسئولية مصر عن التقدم والسلام والحرية في العالم العربى كله ثم تركيزه على تحقيق أهداف القومية العربية فى الداخل من خلال الثورة الاجتماعية قد ساعد على استمرار الالتزام القومى من جانب القيادة الناصرية مع تأجيل متطلباته المرحلية. كذلك أدت هزيمة ١٩٦٧ إلى حددت زلزال أصاب المجتمع المصرى والعالم العربى كله فقد كشفت الستار عن عجز البورجوازية الوطنية فى مصر عن مصر عن إنجاز مهام الثورة الوطنية والديموقراطية حتى نهايتها بل وأساساً عجزها عن حماية الاستقلال الوطنى كما أصابت الدور القومى الذى كانت تنزعه القيادة الناصرية على الساحة العربية قبل الهزيمة فقد أظهرت الهزيمة أهمية العمل العربى المشترك وضرورة حشد جميع الموارد والطاقات العربية لخدمة معركة المصير. وكما عبر عبد الناصر نفسه فإن الهزيمة قد أثبتت أن المعركة هى معركة كل العربى لا فارق بين وطنى بمعنى أو طنى يسارى). وقد جاءت اللات الثلاث فى مؤتمر الخرطوم (لا صلح - لا تفاوض - لا اعتراف) مع التمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى كى تبرز ضرورة الاتفاق على توحيد الجهود العربية سياسياً ودبلوماسياً لإزالة آثار العدوان الإسرائيلى.

هذا ويمثل رحيل عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ وتولى السادات للسلطة فى مصر نقطة فاصلة فى توجه مصر العربى لا تقل أهميتها وتأثيرها عن تأثير هزيمة يونيو ذاتها. ورغم أن توجهات مصر العربية والدولية لم تتغير بصورة

جذرية فى الفترة الأولى من حكم السادات (١٩٧٠ - أكتوبر ١٩٧٣) إلا أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتداعياتها قد أدت إلى حدوث تحول جذرى فى موقف القيادة الساداتية من الصراع العربى الإسرائيلى انتهى بزيارة السادات للقدس نوفمبر ١٩٧٧ ثم الاعتراف بإسرائيل وتوقيع اتفاقيات الصلح معها ١٩٧٨، ١٩٧٩.

ويمكن القول أن تراجع القضية الوطنية والتزامات مصر القومية واختلاف موقف السلطة السياسية فى السبعينيات (السادات) عما التزمت به القيادات الناصرية فى الستينات كان السبب المباشر فى إصدار مجموعة من القوانين والتشريعات ذات التأثير السلبى على الصحافة المصرية بوجه عام.

وهنا تجدر الإشارة إلى الفقرة الثالثة من المادة الثالثة للمعاهدة المصرية الاسرائيلية (مارس ١٩٧٩) التى نصت على بعض العقوبات التى تتراوح بين الحبس ستة أشهر والغرامة والإيقاف عن العمل لكل من يقوم بتوجيه الإساءة والتشويه للعلاقات المصرية الإسرائيلية من خلال الكتابة أو نشر أخبار غير صحيحة وشائعات ضد إسرائيل باعتبارها دولة صديقة؛ إن هذه الانعطافة فى المسار الوطنى لثورة يوليو فى ظل نظام السادات حملت ضمن ما حملته من أضرار سياسية واقتصادية واجتماعية على مجمل التوجه القومى والوطنى لمصر - حملت أخطاراً بعيدة المدى على جميع المثقفين الوطنيين وخصوصاً الصحفيين والصحافة المصرية. وقد تكرست هذه الأخطار من خلال تقنياتها وادخالها فى إطار التشريعات القانونية الملزمة.

ولم يتوقف أثر هذه التشريعات على حماية وتعزيز موقف السلطة فى تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية مع إسرائيل. بل أدى إلى إحداث تغيير شامل لمضامين الكتابات الصحفية عن الصراع العربى الإسرائيلى وتغيير مماثل فى مواقف عدد كبير من الصحفيين الذين كانوا من مناصرى السياسة الناصرية المعادية لإسرائيل فى الستينات، فأصبحوا من أبرز المؤيدين لسياسة السادات

الموالية لإسرائيل وذلك فى ظل ترسانة التشريعات القانونية التى أصدرها السادات.

ثانياً: إذا كانت هزيمة ١٩٦٧ قد أدت إلى تدشين الحقبة النفطية السعودية فإن أبرز نتائج الانتصار فى حرب ١٩٧٣ قد أدت إلى انطلاق عصر التسوية وتدشين حقبة الهيمنة الإسرائيلية أى تسعى إلى تحقيق عدة أهداف أولهما استمرار تفتيت الجبهة العربية أى التفتيت داخل كل دولة عربية وما بين الدول العربية وثانيهما تحويل إسرائيل إلى قوة إقليمية كبرى ذات قدرة عسكرية مطلقة وذاتية تمكنها من تطبيق نظرية الأمن المطلق وإدارة الصراع فى المنطقة وثالثها إعادة صياغة العقل الجماعى العربى تجاه إسرائيل من خلال اختراق المحيط الثقافى العربى وتسريب التفسير الصهيونى للتاريخ وتشجيع الدراسات والبحوث المرتبطة بالصهيونية كعقيدة وكحركة سياسية. وقد نجحت إسرائيل مرحلياً فى تحقيق هذه الأهداف مستفيدة من الردة الفكرية التى تعاني منها المجتمعات العربية والتى تتمثل فى انحسار الرؤية العقلانية وصعود الأفكار والتيارات السلفية الماضوبه نتيجة تفاعلات دولية ومحلية وسياسية وثقافية واجتماعية. فضلاً عن القصور الذاتى الذى يعاني منه الفكر القومى العربى على كافة المستويات النظرية والممارسات الفعلية.

وإذا كانت زيارة السادات للقدس نوفمبر ١٩٧٧ قد أعطت قوة دافعة لانتكاس الفكر القومى واطهرت نقاط ضعفه الكامنة إلا أنها خلقت واقعاً جديداً يتسم باليأس ويؤكد عجز الحكومات العربية عن طرح البديل فالملاحظ أن معظم الحكومات العربية واصلت نفس النهج الساداتى مع بعض الاختلافات الشكلية الأمر الذى أدى إلى أن الموقف الرسمى العربى قد تمخض فى النهاية عن كامب ديفيد عربى على الرغم من كل أشكال المعارضة الشعبية.

لقد كان نصر ١٩٧٣ نصراً فى معركة تكتيكية لم يحسم فيها الصراع على المستوى الاستراتيجى فبدلاً من مواصلة التقدم واستثمار هذا النصر التكتيكى

على طريق تحقيق الهدف الاستراتيجي حدث ما لم يكن متوقعاً إذ تحول النصر إلى استسلام وهزيمة عربية كاملة كانت بدايتها فض الاشتباك عام ١٩٧٥ ثم جاءت اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ثم اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية في ٢٦ مارس ١٩٧٩ التي أعلنت اعتراف حكومة مصر بدولة إسرائيل ولم تكن تمضي عشر سنوات إلا وكانت الأنظمة العربية تهرول على نفس الدرب (الاعتراف بإسرائيل) وقد تحقق ذلك عبر عدة مراحل من خلال مؤتمرات القمة العربية خصوصاً مؤتمر القمة في مارس ١٩٨٢ الذي أقر مشروع السلام العربي الذي يعترف ضمناً بدولة إسرائيل ثم كانت الخطوة التالية في مؤتمر القمة غير العادي في عام ١٩٨٩ الذي قرر عودة مصر إلى جامعة الدول العربية ومنذ ذلك الحين فتح الباب واسعاً أمام كامب ديفيد عربي وليس عودة مصر عربية إذ أكدت مصر فور عودتها المشاركة في المؤتمر الدولي للسلام وانعقد بالفعل مؤتمر مدريد ١٩٩١.

ثالثاً: إن ابرام اتفاقيات التسوية التي اتخذت شكل المحادثات الثنائية المنفصلة التي بدأت بكامب ديفيد المصرية ثم أوصلو الفلسطينية (١٩٩٣) حققت هدفين استراتيجيين بالنسبة لإسرائيل يتمثل أولهما في تجزئة التسوية سعياً لتجزئة الصف العربي مما يعني عدم إزالة أسباب الصراع وتحقيق أهداف (إسرائيل الكبرى) على المدى الطويل فيما يشير ثانيهما إلى نفي الحقوق الشرعية الأصلية للشعب الفلسطيني وتأكيد شرعية وجود إسرائيل مما يعني تراجع الإرادة العربية وهزيمتها على المستوى الاستراتيجي. لقد نجحت إسرائيل في الحاق عدة هزائم عسكرية بالعرب في أعوام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ولكنه في مقابل ذلك كان هناك إدراك عربي أن تلك الهزائم لا تعدو كونها هزائم مرحلية يمكن تعويضها في معارك أخرى قادمة وقد تجسد ذلك الإدراك بأوضح صورة في رؤية عبد الناصر التاريخية لطبيعة الصراع عندما أكد (إن قطعة من أرضنا قد تسقط تحت الاحتلال ولكن أية قطعة من إرادتنا ليست عرضة لأي احتلال) ولذلك رفع شعار (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) وترجم هذا الشعار في إطار من الاجماع

العربي في لاءات الخرطوم الأربعة (لا تفاوض - لا صلح - لا اعتراف - لا تصرف بالقضية الفلسطينية).

كما عبر ابا ابيان عن ذات الرؤية الاستراتيجية للصراع من الجانب الصهيوني عند ما سئل عما اكانت ستفعله الصهيونية لو نجح العرب في تدمير إسرائيل إذ قال (كنا سنبدأ من جديد لإقامة دولة إسرائيل) إلا أن الأمور جرت على نحو مغاير تماماً إذ مهد نصر أكتوبر ١٩٧٣ لحسم الصراع لصالح إسرائيل وكانت البداية اتفاقيات فض الاشتباك عام ١٩٧٥ ثم جاءت اتفاقيات كامب ديفيد ١٩٧٨ وتلتها اتفاقية السلام عام ١٩٧٩ التي اعلنت اعتراف الحكومة المصرية بدولة إسرائيل وفتحت الأبواب المغلقة أمام العرب كي يهرولوا على نفس الدرب وقد تم ذلك من خلال مؤتمرات القمة العربية خصوصاً مؤتمر قمة فاس عام ١٩٨٢ الذي أقر مشروع (السلام العربي) الذي تضمن الاعتراف بدولة إسرائيل لأول مرة على المستوى العربي ككل. وجاءت الخطوة التالية ثم تأكيدها فور عودتها على المشاركة في المؤتمر الدولي للسلام الذي انعقد في مدريد ١٩٩١ والذي مهد بدوره لاتفاقيات أوسلو^(١٣).

رابعاً: كشفت اتفاقيات التسوية عن حقيقة الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية بانحيازها السافر للكيان الصهيوني بتخليها من دورها كوسيط ودخولها كطرف ثالث واحتكارها لإدارة عملية التسوية التفاوضية بين إسرائيل والأطراف العربية المعنية (مصر - منظمة التحرير الفلسطينية والأردن) فبينما جرى التبشير بأن اتفاقية كامب ديفيد هي خطوة أولى نحو تسوية عربية - إسرائيلية أكثر شمولاً إلا أن الأحداث أكدت على مدى ثلاثين عاماً أن المعاهدة المصرية الإسرائيلية لم تكن سوى سلام منفصل بين مصر وإسرائيل ولم يسفر هذا السلام سوى عن عودة سيناء منقوصة السيادة. كما أن مضمون المعاهدة وضع قيوداً على مصر زعموا أنها قيود مؤقتة ولكن سرعان ما أصبح الموقت دائماً فمصر لا تستطيع مثلاً تعديل بعض الجوانب المجحفة في المعاهدة إلا بموافقة إسرائيل. وبالطبع لم

توافق إسرائيل في أى وقت على طلب التعديل. بما فى ذلك الحاجة إلى زيادة قوات الشرطة المصرية مع قطاع غزة ومع إسرائيل وفرض على مصر الاكتفاء بوجود ٧٥٠ من رجال الشرطة ولا يعنى ذلك سوى معنى رمزى لا يعبر عن أى حماية حقيقية للحدود أو رادع كاف لاختراقها. ويتجلى الانحياز الأمريكى لإسرائيل فى العديد من المواقف التى تركت أثراً سلبية على العلاقات المصرية الأمريكية أبرزها معاهدة منع الانتشار النووى التى صدقت عليها حكومة السادات عام ١٩٨١ دون أن تربط ذلك بانضمام إسرائيل إلى المعاهدة. وعندما حاولت استدراك ذلك الخطأ عند تجديد المعاهدة عام ١٩٩٥ وحاولت الربط بين توقيعها على تجديد المعاهدة وبين انضمام إسرائيل إليها رفضت الإدارة الأمريكية برئاسة كلينتون واستمر الوضع على ما هو عليه ظلت مصر داخل المعاهدة وإسرائيل خارجها. ويضاف إلى ذلك سابقة غير مألوفة فى السياق الأمريكى إذ قامت حكومة جورج بوش قبل مغادرتها السلطة بثلاثة أيام فقط بتوقيع معاهدة أمنية مع إسرائيل كان غطاؤها المعلن العمل المشترك على منع وصول الأسلحة إلى منظمة حماس فى قطاع غزة بينما كانت تستهدف فى الحقيقة تفتيش أى سفينة تمر فى البحرين المتوسط والأحمر. ولا يمكن إغفال ما حدث أثناء زيارة حسنى مبارك للولايات المتحدة عام ٢٠٠٤ عندما اجتمع جورج بوش برئيس وزراء إسرائيل أرييل شارون وقام بتسليمه خطاباً رسمياً تقرر فيه أمريكا حق إسرائيل فى الاحتفاظ بمستوطناتها فى الضفة الغربية ضمن أى تسوية. ويعد ذلك الموقف انقلاباً صريحاً على السياسة الأمريكية المستمرة منذ ١٩٦٧ حيث كانت تعتبر المستوطنات غير شرعية من الأصل. وكان هذا موقفاً مناقضاً لما جرى من محادثات بين مبارك وبوش بل قد يوحى بوجود شبهة تواطؤ أيضاً.

خامساً: لقد فشلت اتفاقيات التسوية التى وقعتها إسرائيل مع كل من مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن فى إحلال السلام فى المنطقة العربية بل يمكن القول أن هذه الاتفاقيات أصبحت تمثل عقبة كبرى تعترض طريق السلام الحقيقى فى

المنطقة حيث فرضت تطبيع العلاقات بصورة قسرية تتنافى مع تراث الحروب ومعاهدات الصلح بين الدول لأنها استندت إلى المفهوم الصهيوني للسلام الذى يسعى إلى فرض قضية الأمن الإسرائيلى باعتبارها الأولوية المطلقة فى الصراع العربى الإسرائيلى والتى تتوارى أمامها جميع الحقائق التى تتعلق بالحقوق الوطنية والقومية التاريخية والمعاصرة للشعوب العربية وفى قلبها الشعب الفلسطينى. وإذا كانت هذه الاتفاقيات تعكس النزعة الاستسلامية لدى القيادات السياسية العربية التى ابرمتها غير أنها اهدرت التاريخ الطويل للنضال العربى والفلسطينى ضد الصهيونية كما مكنت إسرائيل من تحقيق كافة أغراضها المرحلية والاستراتيجية وأكدت بأنه لا سلام إلا بالشروط التى تملئها إسرائيل والولايات المتحدة.

سادساً: لا شك أن انتقال الجماهير العربية من حالة الحماس والحيوية والتفاؤل التى رافقت حقبة المد القومى خلال الخمسينيات والستينيات والتى استمرت حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلى حالة السلبية واللامبالاة التى أعقبت مسيرة التسوية مصرياً وعربياً وقمع الانتفاضتين الفلسطينيتين ثم الاحتلال الأمريكى للعراق فضلاً عن القمع المنظم الذى مارسته الحكومات العربية ضد جماهيرها من خلال وسائل السيطرة المتنوعة بدءاً بالإعلام. ومروراً بأجهزة الأمن علاوة على أساليب الاقذار والتجهيل. كل هذه الأسباب أدت إلى غياب رد الفعل الشعبى العربى تجاه الأحداث الجسيمة التى تعرض لها الوطن العربى وشكلت عنصراً أساسياً فى تأسيس فترة الانحسار العربى. فإذا كان غياب الهدف القومى متأثراً بالتحويلات الحادة التى شهدتها المنطقة العربية منذ نهاية السبعينيات. متمثلاً على المستوى الإقليمى فى تصفية الناصرية والانفتاح وتحييد موقف مصر إزاء الصراع العربى الإسرائيلى من خلال كامب ديفيد، فى مصر وتصفية الثوابت الوطنية الفلسطينية من خلال (أوسلو) فى فلسطين، الهيمنة الخارجية والتبعية للغرب ودور النفط فى تفسير الاحتلال الأمريكى للعراق. فى ظل هذا المشهد الجماهيرى العام مع عدم إقبالنا للصدمات التى تعرضت لها الجماهير الشعبية.

مثل صدمة الانفصال ١٩٦١ ثم هزيمة ١٩٦٧ ورحيل عبد الناصر والحرب الأهلية اللبنانية وكامب ديفيد وحروب الخليج الثلاثة وصولاً إلى احتلال العراق واتفاقية أوسلو مع غياب الدور القيادي لمصر. كل هذه الأسباب الموضوعية أدت إلى تجريد الشعوب العربية من حيويتها وقدراتها على المقاومة، بل القت بها في جب عميق من الاحباط والشلل وفقدان الأمل في المستقبل.

ولكن كل هذه المظاهر السلبية لا تجعلنا نتجاهل استمرار نبض المقاومة والاحتجاج الشعبى الذى تجسد فى مواقف معظم القوى العربية غير الرسمية مثل الاتحادات والنقابات والأحزاب والجمعيات ومنظمات حقوق الإنسان والمؤسسات الأكاديمية التى اتخذت مواقف ثابتة ضد إسرائيل والصهيونية منها على سبيل المثال الاتحاد العام لنقابات العمال العربى والنقابات المصرية العمالية والمهنية والاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب واتحاد الصحفيين العرب واتحاد المحامين العرب والجامعات المصرية والعربية وهنا يجدر الإشارة إلى الانجاز التاريخى الذى حققه حزب الله فى جنوب لبنان فى هزيمة إسرائيل والذى أعطى زخماً غير مسبوق لثقافة المقاومة فى الوطن العربى رغم أنه لم يأخذ حقه من الاهتمام بسبب غياب القيادات الوطنية القطرية والقومية القادرة على استثمار هذا الانجاز وتوظيفه لصالح القضية المركزية سواء فى تنشيط الذاكرة القومية أو شحذ الإرادة الجماعية وتأكيد الثوابت الوطنية والقومية ولا غرابة فى أن يتزامن تحرير الجنوب اللبنانى دمر جيش الاحتلال الإسرائيلى مع اندلاع انتفاضة الأقصى التى أكدت أن تحالف القوى المعادية للحقوق العربية والفلسطينية صهيونياً ودولياً وحكومات عربية، قد فشلت رغم ما تمتلكه من ترسانة عسكرية وأمنية وإعلامية فى إطفاء روح المقاومة والاحتجاج لدى الشعوب العربية يتصدرها الشعب الفلسطينى ولكن يظل السؤال مطروحاً لماذا تنطفئ شعلة المقاومة الشعبية دائماً فى الوطن العربى؟ لعل السبب الرئيسى يكمن فى غياب الأطر التنظيمية وغياب القيادات القادرة على توعية الجماهير وتعبئتها وتوجيهها فى الاتجاه الصحيح وتسليحها بالأمل والتفاؤل الاستراتيجى والصبر الثورى وطول النفس.

الاتجاهات المصرية قبل قيام الكيان الصهيوني:

لقد طرحت الصحف المصرية في الفترة السابقة على قيام الكيان الصهيوني على التراب الفلسطيني المغتصب مختلف وجهات النظر التي تمثل يمين الحركة الوطنية ويسارها. ونلاحظ أنها قد تبلورت في ثلاثة اتجاهات محددة واتجاه رابع مختلط وهي:

١- الاتجاه القومي.

٢- الاتجاه الديني.

٣- الاتجاه الأممي.

٤- الاتجاه المختلط.

وسنتناول كلا منها بالتفصيل:

أولاً: الاتجاه القومي:

وينطلق من إدراك شامل لطبيعة الصراع وأبعاده، ويرى أنه في جوهره صراع قومي يستهدف الفلسطينيين شعباً ووطناً، وإن اللقاء الاستراتيجي بين المصالح الصهيونية ومصالح الاستعمار البريطاني في مرحلة تاريخية محددة قد أسفر عن هذا التحالف البريطاني الصهيوني الذي كانت بدايته وعد بلفور، ثم تبلور في الجهود المشتركة بين الحركة الصهيونية وحكومة الانتداب البريطاني لوضع هذا الوعد موضع التحقيق، وما ترتب على ذلك من صراعات وصدامات بين القومية الفلسطينية المهددة بالفناء في جانب والحلف البريطاني الصهيوني في جانب آخر.

وكانت تتبنى هذه الرؤية بعض الصحف الوفدية واليسارية، وخصوصاً صحيفة صوت الأمة لسان حال الطليعة الوفدية التي كانت تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءاً من النظام الاستعماري العالمي. وصحيفة الحساب والجماهير والفجر الجديد لسان حال اليسار الماركسي.

كذلك فإن صحف السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين والأهرام والاتحاد، الناطقة باسم حزب الاتحاد الذي كان يمثل وجهة نظر السراي، كانت تتبنى هذه الرؤية، مع بعض التحفظات، إذ كانت ترى أن الاستعمار البريطاني هو الذى وضع مشروع الوطن القومى اليهودى وهو الذى يؤازره ويعمل على تنفيذه فى فلسطين، وهو الذى يظاهر اليهود على العرب، وإن الاستعمار البريطانى لم يبعث باليهود إلى فلسطين حباً باليهودية أو تنفيذ الفكرة إنسانية، ولكن لكى يجعل من فلسطين بركاناً من القلاقل والاضطرابات ويخلق فيها حالة سياسية تقتضى دائماً وجوده وسيطرته.

ثانياً: الاتجاه الدينى:

ويصور الصراع على أنه صراع بين اليهودية والإسلام، وأنه يستهدف انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، وهدم المسجد الأقصى كى تقيم اليهودية على انقاضه هيكल سليمان. وهى تنظر إلى الصهيونية باعتبارها حركة تهدف إلى الاستيلاء على أرض الميعاد بقوة المال وقوة الحراب وإنشاء مملكة يهودية تعيد مجد ملوك اسرائيل. وتتبنى هذا الاتجاه صحيفتا كوكب الشرق (والأخوان المسلمون). فهؤلاء يردون الصراع إلى أسباب دينية، إذ يرون أن بريطانيا تهدف بسياستها إلى أبعد من إيجاد وطن لليهود أو اراحتهم من التشتت والتفرق فى أنحاء الدنيا، بل تدفع بهم إلى هذه البقعة لأغراض دينية، فلعلها تريد أن تصل بمسألة حكم بيت المقدس إلى نهاية حاسمة لا تتجدد. ويعتقدون أن بريطانيا قد اختارت اليهود للقيام بهذا الدور، لأنها تعلم جيداً بأنها لو دفعت بأفواج المسيحيين إلى فلسطين فإنهم سوف يمتزجون مع العرب ويؤلفون وحدة تقسد على بريطانيا مخططها. ولذلك استعانت بريطانيا باليهود لما لهم من ظروف وتكوين خاص يجعلهم ينفرون من التآلف مع أى شعب آخر.

وتتبنى مجلة الاتحاد الإسرائيلى لسان حال اليهود القرائين الرؤية الدينية. ولكن لتبرير انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين. إذ انها تتبنى الرؤية الصهيونية القديمة التى تدور حول العودة إلى الميعاد التى تحدث عنها العهد القديم.

ثالثاً: الاتجاه الأممي:

وبصور الصراع الفلسطيني الصهيوني على أنه جزء من الصراع الذي تخوضه الحركة الوطنية الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني. وإن حل القضية الفلسطينية مرهون بجلاء القوات البريطانية عن فلسطين وقيام الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة التي تستطيع في ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها وتعيش في سلام لصالح الملايين وليس لصالح حفنة من الاحتكاريين. كما كان يرى أن الصهيونية لا تمثل حلاً ديمقراطياً حقيقياً لمشكلة اليهود في العالم. وإن المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف أديانها في سبيل حريتها وديمقراطيتها. وقد عبرت عن هذا الاتجاه صحف اليسار المصري مثل الجماهير والفجر والضمير.

رابعاً: الاتجاه المختلط:

ويستند هذا الاتجاه إلى رؤية مختلطة تمزج بين كل من العامل الديني والقومي في تصويرها للصراع الفلسطيني الصهيوني. ويرى أن الصهيونية تقوم على فكرة دينية وسياسية مذهبية لا تتفق مع ظروف العصر. وكانت تتبنى هذا الاتجاه الوطن والبلد وكوكب الشرق (جزئياً) والشورى.

الاتجاهات المصرية خلال ثورة يوليو:

ونلاحظ أن خريطة الاتجاهات التي جسدت مختلف الرؤى التي عبر عنها الرأي العام المصري في المرحلة السابقة على قيام ثورة يوليو قد اختلفت إلى حد كبير في المرحلة اللاحقة. ففي الحقبة الناصرية أعلنت القيادة السياسية تمسكها بالخط الوطني المصري في الداخل والالتزام القومي على الصعيد العربي وسياسة عدم الانحياز على المستوى الدولي. وقد انعكس ذلك على مواقف واتجاهات الصحف المصرية نحو مجمل أبعاد الصراع العربي الإسرائيلي بوجه عام ونحو النضال الفلسطيني المسلح بصورة خاصة. وقد تبلورت هذه الاتجاهات على النحو التالي:

١ - الاتجاه القومي الراديكالي:

وقد ساد هذا الاتجاه قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧، حيث اتسم موقف الصحافة المصرية من المقاومة الفلسطينية المسلحة بالمساندة والتشجيع. وذلك انطلاقاً من الالتزام القومي الذي عبرت عنه الممارسات الناصرية منذ حرب السويس ١٩٥٦ وبلغ ذروته بتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨. ولكن بعد التحول الاجتماعي في مصر وما تلاه من ضرب الوحدة نلاحظ أن عبد الناصر يردد مقولة أن الرجعية العربية تقف في خندق واحد مع إسرائيل والاستعمار العالمي، وي طرح شعار وحدة قوى الثورة في الوطن العربي في مواجهة القوى الرجعية، أى ي طرح وحدة الهدف. وقد انعكس ذلك بوضوح على معالجات الصحف للقضية الفلسطينية وكانت الصحافة المصرية تستغل خلافات المقاومة الفلسطينية مع الأنظمة العربية التي يعاديها النظام السياسي أو يختلف معها للتشهير بهذه الأنظمة مثل الملك حسين.

٢ - الاتجاه القومي المعتدل:

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ استمرت الصحافة المصرية في متابعتها للمقاومة الفلسطينية بصورة متصاعدة تتناسب مع تصاعد أعمال المقاومة في تلك الفترة. كما أن هناك سبباً لهذه المتابعة وهو الرغبة في إعادة الثقة للشعب المصري الذي اهتزت ثقته في القيادة السياسية بعد الهزيمة. ولكن، في ضوء الصيغة التوفيقية الجديدة التي طرحها عبد الناصر بعد الهزيمة والتي تجمع بين وحدة الهدف ووحدة الصف، تجاهلت الصحافة المصرية المواقف المشتبهة لبعض الأنظمة العربية تجاه المقاومة الفلسطينية.. كذلك لوحظ أن المتابعة الصحفية للمقاومة كانت تهتز أثناء الخلافات مع المنظمات الفلسطينية مثل فترة الخلاف بسبب قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز وبعد زوال الخلاف تعود الصحافة المصرية إلى سابق اهتمامها بالمقاومة. وهكذا كانت الصحف تهتم بالمقاومة كلما توافقت مع أهداف السلطة السياسية في مصر. بينما يتقلص الاهتمام إذا حدث العكس. وقد تجلّى ذلك بوضوح خلال الفترة الساداتية. ففي الفترة السابقة على مبادرة السادات زيارة القدس تابعت الصحف باهتمام ملحوظ

انتفاضات الفلسطينيين العرب في الأراضي المحتلة. أما بعد المبادرة وزيارة السادات للقدس (نوفمبر ١٩٧٧) فقد كان التجاهل شبه الكامل. وحتى العمليات الفدائية المبهرة التي كانت تتناولها الصحافة المصرية أصبحت من وجهة نظرها تعبيراً عن اليأس الفلسطيني، بعد أن كانت تعبيراً عن إرادة الصمود والتحدى في أعقاب هزيمة يونيو.

٣- الاتجاه الموالي للصلح المصري الإسرائيلي:

وقد تجسد هذا الاتجاه في الحملة الإعلامية المعادية للعرب والتي بدأت تتصاعد تدريجياً منذ عام ١٩٧٥. وبلغت ذروتها بعد زيارة السادات للقدس. وقد اعتمدت هذه الحملة على ترديد المقولة الخاصة بأن انغماس مصر في القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص قد أدى إلى خراب مصر الاقتصادي. ولم تنس هذه الحملة أن تذكر الشعب المصري بأنه قد انفق من قوته أكثر من ٤٠ ملياراً من الدولارات ومائة ألف شهيد، بسبب العرب والقضية الفلسطينية. كما زعمت الصحف المصرية أن العرب يريدون محاربة إسرائيل حتى آخر جندي مصري. وفي هذا السياق برزت دعوة توفيق الحكيم إلى حياد مصر. وكان المقصود به حيادها في الصراع العربي الإسرائيلي. ورغم أن هذه الحملة قد ساعدت على فرز الاتجاهات الفكرية والسياسية في مصر من خلال الحوار الضخم الذي فجرته والذي دافع أغلب المشاركين فيه عن عروبة مصر، وربطوا بين المصالح الوطنية المصرية والمصالح القومية العربية ربطاً عضوياً - إلا أنه لا يمكن أن نتغافل عن الآثار السلبية التي أحدثتها لدى الرأي العام المصري، ولو لبعض الوقت، خصوصاً بسبب تركيز هذه الصحف على التصرفات السفهية لبعض الأثرياء العرب في الخارج واتهامها (على لسان رئيس الدولة نفسه) للمناضلين الفلسطينيين بأنهم مناضلو كباريهات.

٤- الاتجاه المقاوم للتطبيع مع إسرائيل:

أشارت الدراسة إلى المقاطعة العربية لإسرائيل باعتبارها الأسلوب الأقدم فقد بدأت منذ نهاية العشرينيات واتخذت شكلاً رسمياً جماعياً من جانب الجامعة العربية

منذ عام ١٩٤٥ وقبل قيام الكيان الصهيوني. واستمرت الجامعة العربية فى تطبيق احكام المقاطعة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد وعزل مصر عن محيطها العربى وقد ساعدها على ذلك حركة الاحتجاجات الواسعة التى شملت مختلف التيارات السياسية والاجتماعية فى مصر ضد التطبيع مع إسرائيل ولكن المقاطعة أصبحت مجمدة تماماً بعد إبرام اتفاقيات أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية.

ومن المفارقات الاليمة أن العرب اسقطوا المقاطعة كسلاح سلمى فى مواجهة إسرائيل فى الوقت الذى بادرت بعض الهيئات العلمية والدينية فى الدول الغربية بمقاطعة إسرائيل بسبب عدوانها المتواصل على الشعب الفلسطينى مثال بعض الجامعات والمعاهد البريطانية والكنائس الميثودية فى الولايات المتحدة وبعض الأوساط الأكاديمية فى كل من كندا وبريطانيا وأستراليا وفرنسا والولايات المتحدة - وإذا كانت مقاومة التطبيع فى مصر بدأت بعد زيارة السادات للقدس نوفمبر ١٩٧٧ وتصاعدت بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد وانتهت باعتقال السادات لمعارضى التطبيع تم اغتياله ١٩٨١ إلا أن هذه المقاومة قد خفتت فى بدايات حكم حسنى مبارك حتى استرداد سيناء ثم برزت فى أعقاب مؤتمر مدريد ١٩٩١ وانطلقت فى المرحلة الثالثة بعد انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠.

وقد ضمت القوى المناهضة للتطبيع جميع التيارات القومية والإسلامية والليبرالية والماركسية.

وقد مارست إسرائيل بمساندة أمريكا والمؤسسات الاقتصادية الدولية صور شتى من الضغوط والمؤامرات من أجل اختراق المجتمع المصرى وفرض هيمنتها السياسية والثقافية والاقتصادية على مقدراته ومصائره. ولا تزال تواصل محاولاتها فى هذا الصدد.

المراجع

أولاً - مصادر أساسية

- ١- الصحف والمجلات:
- ٢- الصحف المصرية (عينة البحث)

(أ) صحف الوفد :

- ١- البلاغ: ١٩٢٢، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.
- ٢- كوكب الشرق: ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(ب) الأحرار الدستوريين :

- ٣- السياسة: ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(ج) الرأي :

- ٤- الاتحاد: ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(د) الصحف الطائفية :

- ٥- الوطن: ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩.

(هـ) اليسار المصري :

- ٦- الحساب: ١٩٢٥.

(و) الأهرام :

- ٧- الأهرام: ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(ز) المقطم :

- ٨- ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(ح) الأخوان المسلمون:

٩- الأخوان: ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥.

(ط) الصرخة :

١٠- الصرخة: ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤.

(ي) الصحف الفلسطينية :

١١- الشورى: ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠.

١٢- الإخاء:

١٣- إسرائيل: ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣.

١٤- الشمس: ١٩٣٤، ١٩٣٥.

١٥- الاتحاد الاسرائيلي: ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٩.

(ك) صحف أخرى :

١٦- الرابطة الشرقية: ١٩٢٨، ١٩٢٩.

١٧- الشبان المسلمين: ١٩٢٩، ١٩٣٠.

١٨- الفتح: ١٩٢٦، ١٩٢٩، ١٩٣٠.

١٩- المجلة الجديدة: ١٩٢٩، ١٩٣٤.

٢٠- شئون فلسطين: بيروت مايو ١٩٧٢، أغسطس ونوفمبر سنة ١٩٧٤.

٢١- الاديب - بيروت - مايو ١٩٦٧.

٢٢- الجامعة الاسلامية ديسمبر ١٩٣٣.

٢٣- الف باء - ابريل ١٩٢٤.

٢٤- الجهاد يناير ١٩٣٢.

٢٥- روز اليوسف مايو ١٩٣٥.

عينة الصحف فى الستينات والسبعينات

٢٦- الأهرام: يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٩.

٢٧- الأخبار: يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٩.

٢٨- الجمهورية: يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٩.

٢- أحاديث شخصية :

- ١- عدة لقاءات مع الدكتور أنيس صائغ خلال عام ١٩٧٢، يونيو ١٩٧٣ بالقاهرة.. ثم فى نهاية ١٩٧٣.
- ٢- لقاء مع الشيخ عبد الله العلايلي وحوار معه عن (تاريخ الاهتمام المصرى بالقضايا العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص) اكتوبر ١٩٧٣.
- ٣- حيث شخصى مع مسيو ريمون دوين عن (اليهود واليسار المصرى) - القاهرة - نوفمبر ١٩٧٤.
- ٤- حوار مطول مع المهندس أحمد صادق عن (اليهود والحركة الصهيونية فى مصر) فى عدة لقاءات بالقاهرة - يناير ١٩٧٥.
- ٥- حديث مع مسيو جاكو دى كومب وهنرييت دى كومب عن اليسار الماركسى والقضية الفلسطينية فبراير ١٩٧٥ - القاهرة.
- ٦- حديث مع السيد البراربية عن حركة معاداة اللسامية فى مصر - القاهرة - مارس ١٩٧٥.

٣- مذكرات شخصية :

- ١- أحمد حسين: غيماني - مطبعة الرغائب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٣٦.
- ٢- أحمد حسين: ٥٠ عاماً مع العروبة وقضية فلسطين - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٧١.
- ٣- حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية - درا الكتب العربى - القاهرة ١٩٦١.
- ٤- خليل سكاكيني: يوميات خليل سكاكيني - القدس ١٩٥٥.
- ٥- محمد على الطاهر: ظلام السجين - القاهرة ١٩٥١.
- ٦- د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية - الجزء الأول - القاهرة ١٩٥١.

٤ - مذكرات غير منشورة :

١. د. جيهان رشتى: محاضرات فى تحليل المضمون - كلية الإعلام ١٩٧٥.
٢. سيد ياسين: مناهج البحث فى علوم الإعلام - محاضرات لشعبة الدراسات العليا بكلية الإعلام - ١٩٧٥.
٣. عبد القادر ياسين: مذكرات عن الحركة الوطنية الفلسطينية - ١٩٢٠ - ١٩٤٨.

٤. عبد القادر ياسين: بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية فى الثلاثينات والاربعينات.
٥. د. محمد أنيس: الحركة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الأوروبى سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية - ١٩٦٩.
٦. د. محمد أنيس: من الإقطاع الى الرأسمالية - محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية - ١٩٦٩.

٥ - رسائل جامعية غير منشورة :

١. ذوقان قرقوط - الفكرة العربية فى مصر من أيام محمد على، ماجستير، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧١.
٢. عايدة نصير - الكتب العربية التى صدرت بمصر بين عامى ١٩٣٦ - ١٩٤٠، ماجستير - جامعة القاهرة ١٩٦٦.
٣. محمود فياض - الصحافة الأدبية فى مصر، فترة ما بين الحربين، دار العلوم - جامعة القاهرة - رسالة دكتوراة ١٩٦٩.
٤. وجيه سمعان - الصحافة والحياة السياسية فى مصر ١٩٢٣ - ١٩٣٦ ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧٣.

ثانياً : مصادر عامة

١ - دراسات تاريخية

(أ- القضية الفلسطينية)

١. د. أحمد طربين: فلسطين فى خدد الصهيونية والاستعمار ١٩٢٢ - ١٩٢٩ - معهد الدراسات العربية، القاهرة - ١٩٧٣.
٢. أحمد صادق سعد - فلسطين بمخالب الاستعمار - القاهرة ١٩٤٧.
٣. د. أنيس صايغ - فلسطين ولاقومية العربية - م. أ. ف بيروت ١٩٦٦.
٤. الحكم دروزة - ملف القضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى. م. أ. بيروت ١٩٧٣.
٥. د. أميل توما - بذور القضية الفلسطينية - م. أ. ف. بيروت ١٩٧٣.

٦. - أميل الغورى - المؤامرة الكبرى - أعتيال فلسطين وحقوق العرب - القاهرة ١٩٥٥.
٧. أكرم وعم زعيتر - القضية الفلسطينية - بيروت ١٩٥٩.
٨. العسكرية الصهيونية - المجلد الأول - مركز الدراسات الإستراتيجية بالاهرام - القاهرة ١٩٧٢.
٩. ج. م. ن جفريز - فلسطين إليكم الحقيقة - ٤ أجزاء - ترجمة أحمد خليل الحاج - القاهرة ١٩٧٢.
١٠. د. خيرية قاسمية - النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨ - م. أ. ف. بيروت ١٩٧٤.
١١. د. رفعت السعيد - اليسار المصرى والقضية الفلسطينية - بيروت ١٩٧٥.
١٢. سعد الياس - الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة - بيروت ١٩٧١.
١٣. صبحى ياسين - الثورة العربية الكبرى - ١٩٣٦ - ١٩٣٩ القاهرة ١٩٥٩.
١٤. عادل أحمد غنيم - الحركة الوطنية الفلسطينية - من ١٩١٧ - ١٩٣٦ القاهرة ١٩٧٥.
١٥. عبد الوهاب الكيالى - وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطانى والصهيونى ١٩١٨ - ١٩٣٩ - بيروت ١٩٦٩.
١٦. عبد الوهاب الكيالى - تاريخ فلسطين الحديث - بيروت ١٩٧٠.
١٧. عمر الصالح البرغوثى - تاريخ فلسطين - القدس ١٩٢٣.
١٨. عودة بطرس عودة - القضية الفلسطينية فى الواقع العربى - القاهرة ١٩٧٠.
١٩. عيسى السفري - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - يافا ١٩٣٧.
٢٠. د. كامل محمود خله - فلسطين والانتداب البريطانى ١٩٢٢ - ١٩٣٩ م. أ. ف. بيروت ١٩٧٥.
٢١. د. فاضل حسين - تاريخ فلسطين السياسى تحت إشراف الإدارة البريطانية - بغداد ١٩٦٧ - مترجم.
٢٢. د. فايز صايغ - الاستعمار الصهيونى فى فلسطين - م. أ. ف. بيروت ١٩٦٥.
٢٣. محمد علوبة - فلسطين وجاراتها - القاهرة ١٩٤٥.
٢٤. محمد رفعت - قضية فلسطين - القاهرة ١٩٤٧.

٢٥. منيرة ثابت - قضية فلسطين - القاهرة ١٩٣٩.
 ٢٦. ناجى علوش - المقاومة العربية فى فلسطين - ١٩١٧ - ٤٨ بيروت ٦٧.
 ٢٧. ناجى علوش - الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والحركة الصهيونية من ١٨٨٢-١٩٤٨- بيروت ١٩٧٥.
 ٢٨. نبيل بدران - التعلم والتحديث فى المجتمع العربى الفلسطينى - الزمن الأول - عهد الانتداب - م. أ. ف بيروت ٦٩.
 ٢٩. نجيب صدقة - قضية فلسطين - بيروت ١٩٤٦.
- (ب) تاريخ مصر السياسى :
١. د. إبراهيم عبده وخيرية قاسمية - اليهود فى البلاد العربية - بيروت - ١٩٧١.
 ٢. أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الحولية السادسة ١٩٢٩- القاهرة ١٩٣١.
 ٣. د. أحمد عبد الرحيم مصطفى - تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة - معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٧٣.
 ٤. احمد غنيم وأحمد أبو كف - الحياة اليهودية والحركة الصهيونية فى مصر - القاهرة ١٩٦٩.
 ٥. د. اسحق موسى الحسينى - الأخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية الحديثة - بيروت ١٩٥٢.
 ٦. د. أنيس صايغ - الفكرة العربية فى مصر - بيروت ١٩٥٧.
 ٧. د. جمال حمدان - شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان - القاهرة ١٩٦٧.
 ٨. جاكوب لاندאו - الحياة اللبنانية والأحزاب فى مصر ١٨٦٦ - ١٩٥٢.
 ٩. د. رفعت السعيد - تاريخ الحرة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠- ١٩٢٥ دار الفسارابى - بيروت ١٩٧٢.
 ١٠. د. رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٥٢ - ١٩٤٠ بيروت ١٩٧٢.
 ١١. شهدى عطية الشافعى - تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢- ١٩٥٦ - القاهرة ١٩٥٧.
 ١٢. د. راشد البراوى - حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر - القاهرة ١٩٥٣.
 ١٣. صلاح عيسى - الثورة العربية - القاهرة ١٩٧٣.

١٤. طارق البشرى - الحركة السياسية في مصر - ٤٥-١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٢.
١٥. فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسى - القاهرة ١٩٥٨.
١٦. د لويس عوض - تاريخ الفكر المصرى الحديث - القاهرة ١٩٦٩.
١٧. د. محمد أنيس ورجب حراز - التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث - القاهرة ١٩٧٢.
١٨. يونان رزق - الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ - القاهرة ١٩٧٠.
- ٢- دراسات صحفية:
- ١- د. إبراهيم عبده - تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٤٤.
- ٢- أنور الجندى - تطور الصحافة العربية في مصر - القاهرة - ١٩٦٨.
- ٣- تطور الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية - القاهرة.
- ٤- جمال الشرقاوى. ملاحظات على صحافة الشعب - الكاتب - القاهرة - إبريل ١٩٦٨.
- ٥- د. جمال العطيفى: حرية الصحافة - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٤.
- ٦- د. حسنين عبد القادر - الصحافة كمصدر للتاريخ - القاهرة ١٩٣٨.
- ٧- د. خليل صابات وسامى عزيز ويونان رزق - حرية الصحافة في مصر ١٨٩٨ - ١٩٢٤.
- ٨- الصحافة رسالة وأستعداد وعلم وفن - دار المعارف - القاهرة.
- ٩- د. رفعت السعيد - الصحافة اليسارية في مصر ١٩٥٢-١٩٤٥ دار الطليعة - بيروت.
- ١٠- د. سامى عزيز - الصحافة المصرية ومقفها من الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩٨٢ - القاهرة ١٩٦٩.
- ١١- د. عبد اللطيف حمزة - أدب المقالة الصحفية في مصر - القاهرة - ١٩٦٣.
- ١٢- الصحافة المصرية في مائة عام - القاهرة ١٩٦٠.
- ١٣- قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها الى منتصف القرن العشرين - بغداد - ١٩٦٧.
- ١٤- قسطاكى الياس - عطارد - تاريخ تكوين الصحف المصرية - القاهرة ١٩٣٨.

- ١٥ - فاروق ابو زيد - الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر - القاهرة ١٩٧٤.
- ١٦ - د. مختار التهامى: مع الصحافة فى شهر - مجلة الكاتب - القاهرة - مايو سنة ١٩٦٧.
- ٣ - مراجع عامة:
 - ١- أحمد بهاد الدين - اسرئيليات وما بعد العدوان - دار الهلال - القاهرة ١٩٦٩.
 - ٢- د. احمد سويلم العمرى - المجتمع العربى وتطواراته الاجتماعية والسياسية - القاهرة ١٩٦٥.
 - ٣- أحمد حمروش - قصة ثورة ٢٣ يوليو - مصر والعسكريون - الجزء الأول - الطبعة الثانية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - القاهرة ١٩٧٧.
 - ٤- د. احمد طربين - الوحدة العربية ١٩١٦ - ١٩٤٥ - القاهرة ٦٨.
 - ٥- أحمد يوسف القرعى - (إعداد) - الهيونية والعنصرية - مركز الدراسات السياسية - والاستراتيجية بالاهرام - القاهرة - ١٩٧٧.
 - ٦- أديب ديمترى - المسألة اليهودية والأشتراكى العلمية - مجلة الكاتب - القاهرة - أغسطس ١٩٧٣.
 - ٧- د. أسعد رزوق - نظرة على أحزاب إسرائيل - سلسلة دراسات فلسطينية - بيروت ١٩٦٦.
 - ٨- د. أسعد رزوق - الدولة والدين فى إسرائيل سلسلة دراسات فلسطينية - بيروت - ١٩٧٠.
 - ٩- إسماعيل محمود - حدود اكتوبر - دار الطليعة - بيروت - ١٩٧٤.
 - ١٠- الياس مرقص - تاريخ الاحزاب الشيوعية فى الوطن العربى - بيروت ٦٤.
 - ١١- أمين سعيد - الثورة العربية الكبرى - الجزء الثالث - القاهرة ١٩٤٣.
 - ١٢- أنور الجندى - القومية التبرية والوحدة الكبرى.
 - ١٣- د. أنيس صايغ - تطور المفهوم القومى عند العرب - بيروت ١٩٦١.
 - ١٤- جاكوب لاندور - الحياة النيابية والاحزاب فى مصر من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢ - ترجمة سامى الليثى - مكتبة مدبولى - القاهرة.
 - ١٥- د. جلال يحيى - العالم العربى الحديث فترة ما بين الحربين - القاهرة ١٩٦٦.
 - ١٦- د. جمال حمدان - اليهود انثروبولوجيا - المكتبة الثقافية - القاهرة - فبراير ٦٧.

- ١٧- د. جمال حمدان - شخصية مصر - دراسة في عبقورية المكان القاهرة - ١٩٦٧.
- ١٨- د. جمال حمدان - إسرائيل، الصهيونية وأرض فلسطين - مجلة الهلال - القاهرة - مايو ١٩٦٨.
- ١٩- جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة - القاهرة.
- ٢٠- جورج انطونيوس - يقظة العرب - ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس - بيروت - ١٩٦٩.
- ٢١- حازم نسبية - القومية العربية - فكرتها - نشأتها - تطورها - ترجمة عبد اللطيف شراره - بيروت ١٩٥٩.
- ٢٢- سيتون وليمز - بريطانيا والدول العربية ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى - القاهرة ١٩٥٢.
- ٢٣- صبحى محمد ياسين - حرب العصابات فى فلسطين - ار الكتاب العربى - القاهرة ١٩٦٧.
- ٢٤- صلاح زكى - الثورة الفلسطينية - التاريخ = الواقع - المستقبل - درا الثقافة الجديدة - القاهرة - ١٩٧٧.
- ٢٥- صلاح عيسى - الأساس الاجتماعى للثورة العربية - القاهرة - ١٩٧٣.
- ٢٦- صلاح عيسى - مقدمة (كتاب الإخوان المسلمون) لريتشارد ميتشل - مكتبة مدبولى - القاهرة - ١٩٧٧.
- ٢٧- صلاح عيسى - مستقبل الديمقراطية فى مصر - مجلة الكاتب - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٤.
- ٢٨- د. عبد العظيم رمضان - صراع الطبقات فى مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢ - د. ت.
- ٢٩- عبد القادر ياسين - شبهات حول الثورة الفلسطينية - درا الثقافة الجديدة - القاهرة - ١٩٧٧.
- ٣٠- عبد القادر ياسين - النظام الأردنى والكيان الفلسطينى - مجلة الكاتب - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٤.
- ٣١- د. عبد الوهاب الكيالى - الموجز فى تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤.

- ٣٢- د. عبد الوهاب الكيالي -المطامع الصهيونية التوسعية - سلسلة دراسات فلسطينية بيروت - ١٩٦٦.
- ٣٣- د. عبد الوهاب المسيري - نهاية التاريخ - مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام - القاهرة - ١٩٧٣.
- ٣٤- د. على بركات - تطور الملكية الزراعية في مصر ١٨١٣ - ١٩١٤ وأثره على الحركة السياسية - درا الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٧.
- ٣٥- د. على بركات - الملكية الزراعية بين ثورتين (١٩١٩-١٩٥٢) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام - القاهرة ١٩٧٨.
- ٣٦- د. فؤاد مرسى - هذا الانفتاح الاقتصادي - دار الثقافة الجديدة - القاهرة - ١٩٧٦.
- ٣٧- كارل ماركس - المسألة اليهودية - مطبعة مكتبة دار الجبل - د. ت.
- ٣٨- لطفي الخولي - ٥ يونيو : الحقيقة والمستقبل - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٨.
- ٣٩- أوتسكي - تاريخ الأقطار العربية الحديثة - موسكو ١٩٧١.
- ٤٠- ليلى القاضي - الهستدروت - سلسلة دراسات فلسطينية - بيروت - ١٩٦٧.
- ٤١- مجموعة من العلماء السوفيت - التركيب الطبقي للبلدان النامية.
- ٤٢- د. محمد أنيس - ورجب حراز - الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٦٧.
- ٤٣- محمد رفعت - التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة - القاهرة ١٩٦٤.
- ٤٤- محمد عزه دروزه - حول الحركة العربية الحديثة - صيدا ١٩٥٩.
- ٤٥- محمد علي الغنيت - ثورات العرب في ١٩١٩ - الجزء الأول ١٩٦٢.
- ٤٦- محمد عمارة - العروبة في العصر الحديث - القاهرة ١٩٦٧.
- ٤٧- محمود كامل المحامى - عربتنا - القاهرة ١٩٦٤.
- ٤٨- ناجى علوش - الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية - ١٨٨٢-١٩٤٥- سلسلة دراسات فلسطينية - ١٩٧٤.
- ٤٩- نجلاء عز الدين - العالم العربي - ترجمة محمد عوض إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٦٤.
- ٥٠- نجيب صدقة. قضية فلسطين - دار الكتاب - بيروت - ١٩٤٦.

- ٥١- الهيئة المصرية للكتاب - قانون استثمار المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة - القاهرة ١٩٧٤.
- ٥٢- وزارة الشباب - ج. م. ع القضية الفلسطينية، الحقيقة والمصير، القاهرة ١٩٧٠.
- ٥٣- الأهرام الاقتصادى - العدد ٥٢٦ - ١٥ يوليو ١٩٧٧.
- ٥٤- مجلة شئون فلسطينية - العدد ١٦ يونيو ١٩٧٥.